



العُصُورُ

العدد ٧ مجلد ٢ شِماعِ الحِكْمَةِ يَحْضِرُنَا إِلَيْكَ مارس ١٩٢٨

الاديان

وهل نصبح سرائع أدية

لما التى السير أرثر كيث رئيس المجمع العلمى البريطانى خطبته الاخيرة فى مذهب داروين، وقام الاسقف « بارنز » الانجليزى يؤيد من نظرية العالم الكبير ويحاول تطبيق وجهة النظر العلمية على المرامى التى يرمى اليها الدين ، كان أهم غرض رمى اليه هو تعميم فكرته على كل الاديان ، لا على دين دون دين . فكأنه بذلك يعتقد أن الاديان أساليب مختلفة ترمى جميعها الى غرض واحد . وهذه الوحدة المعظمى التى بشر بها الاسقف « بارنز » فى خطابه الذى أيد به السير « كيث » وفى مقالاته العديدة التى نشرها دفاعا عن وجهة نظره ، لا يقتصر أثرها على تغيير القاعدة النظرية التى تتركز عليها الاديان ، بل تتناول مسائل عالمية سعى الى تحقيقها الفلاسفة والمصلحون منذ أقدم الأزمان .

كانت الاديان فى العصور القديمة ، وحتى أواخر القرن التاسع عشرة سبباً فى الخلافات العنصرية التى أدت الى كثير من الحروب التى صبغت الارض بالدماء

وثلت العروش الآمنة وهبطت بكثير من الملوك من سماء عليائهم الى حضيض الذلة والانكسار . لهذا ظلت الاديان طوال العصور الاولى مبدأً للتنازع المذهبي وتعدت الى التناحر العنصري، ولم ترم يوماً الى تكوين وحدة اعتقادية تنهض معها فظائع الحروب والاملاذات الطائفية . وكان السبب في هذا اعتقاد أهل كل دين أن دينهم وحده هو الحق وان ماعداه باطل وانه الطريق الأوحيد الى انخلاص الاخرى، فكان الحروب التي قامت على أساس الخلاف الديني قد رجعت في كل الحالات الى منازع نفسية صرفة أولها شدة الاقتناع بان الدين الذي تعتنقه كل جماعة هو وحده الحق، وأن الحق يجب أن تكون له السيادة في الدنيا دون الباطل .

من هنا ترى أن الاديان اتخذت كمبادئ أولية لا كوسائل ترمى الى أغراض معينة . أو بعبارة أخرى أن الوسيلة اتخذت قاعدة فكان من وراء ذلك أن تقوم الحروب ويعتبر من ناحيته يعتمد المذهب بالخص الصفات والحقوق البشرية

ولقد بحث كثير من المصالحين في السبيل التي يمكن أن يقضى بها على هذه النزعة التعصبية الغريبة وفتشوا كثيراً عن الطريق التي تهدي الانسانية الى الصلاح والخير . فكثر المذاهب وتباينت الوسائل، فكان من ذلك أن انتشرت معتقدات ومذاهب أضحت بدورها سبباً أعظم للتفريق بين العناصر الانسانية ورمت بالبشر مرة أخرى في أحضان الحروب والثورات على مدى الازمان

ولو أنهم رجعوا قليلاً الى هذه الفكرة البسيطة التي رعى اليها الاستف « بارنز » اليوم والتي يؤيدها فيه كثير من رجالات الكنيسة الانجائزية ، فكرة أن الاديان وسائل ترمى الى غرض واحد، وأنها ليست في ذاتها غايات تطالب لذاتها، واستطاعوا أن يقنعوا الناس بأن هذه الفكرة حق وصدق، اذن لو فروا على الانسانية كثيراً من متاعبها، واذن لبلغوا من انشاء الفكرى حداً كان من الممكن أن تسير بعده السلالات البشرية في طريق أسلم بكثير من الطرق التي سلكتها حتى الآن .

على أن خطى التطور الفكرى ما كانت لتفسح لمثل هذه الأفكار مجال الذبوع . وانما هي نواميس التدرج الفكرى التي أوصلتنا الى الغاية التي استطاع

عندها رجال من أمثال « بارنز » أن يبشروا بفكراتهم الجديدة .

* * *

على أن السبب في أن الانسانية لم تبلغ هذا المبلغ من التطور الاعتقادي بسهولة راجع الى الخلقات الاساسية التي انطوت عليها صور الدين التي ظهرت في الارض على تتالي الاجيال . فمن الاديان صور دعت الى الخلاص الاخرى ، ومنها ما اتخذ العبادة والزهد سبيلا الى هذه الغاية . ومنها ما اتخذ التأمل وسيلة ، ومنها ما نزع الى التسود في الدنيا فكان شريعة دينية وقانوناً دنيوياً . والى هذه الخلقات الاساسية يرجع السبب في جزء كبير من الخلقات الدينية التي تناولت المعتقدات كما تناولت الدنيويات .

وعبثاً حاول الكثير من المفكرين أن يقتنعوا الناس بان وظيفة الدين تنحصر في الخلاص الاخرى ، لا في تمليل الحوادث الكونية وتنظيم العلاقات الدنيوية التي تتغير دائماً بتغير الظروف والحالات . غير أن الفكر الانساني لم يكن أفقه قد اتسع بعد ايسع مثل هذه المبادئ العليا فتصر دون اللحاق بمن أرادوا أن يسيروا به في سبيل النور والخلاص الحقيقي .

ولقد خطت الانسانية في سبيل التحرير خطوتين كان لكل منهما آثارها البعيدة في الادراك العام . أما الاولى فتناولت النظريات وبدأها العلماء في أواسط القرن الخامس عشر ، وتناولت الثانية العمليات ، وبدأها السياسيون بان فصلوا بين الحكومة والكنيسة . وكان من الضروري أن تؤدي هاتان الخطوتان الى الفكرة الحديثة التي دعى اليها الاسقف « بارنز » والتي تتخذ وحدة الغاية أساساً تعمل له صور الاديان على اختلاف مناجيها .

* * *

بعد أن نشر العلامة داروين كتابه « أصل الانواع » في أواسط القرن التاسع عشر — ١٨٥٩ — وبدأت المعركة التي دارت حول الفكرة في الخلق والنشوء تأخذ صورة فاصلة انتهت بانتصار مبدأ النشوء ، أخذ العلماء يطبقون هذا المبدأ الاساسي على كل فروع المعرفة وصور الفكر الانساني . وكان الدين أحد الأشياء التي حاول

العلماء أن يطبقوا عليها مبادئ النشوء ، فاقترح السبيل عالم اجتماعي دقيق الفكرة بعيد النظر قال بان الدين ضرورة اجتماعية وان وظيفته تنحصر في إحكام العلاقة بين الفرد والمجموع ، وان في العالم الانساني قوتان احدهما قوة مفرقة تمثلها انانية الفرد وحبه لذاته : والاخرى قوة مؤلفة تستمد مما فوق العقلية الفردية هي قوة الدين التي تجعل خضوع الفرد لحاجات المجموع مستطاعا وتزود الانسان بما يحتاج اليه المجتمع من صفات الغيرية .

وفي معتقدي أن الخطوة التي خطاها «داروين» بالانسانية هي أكبر الخطوات التي خطاها فرد واحد بمجموع الامم خلال كل الازمان التاريخية . ولا يعلم أحد الى أي حد سوف تبلغ بنا هذه الخطوة الكبرى في المستقبل



الله والشر

قل لقوم كرهوا من جهلهم	نسبة الشر إلى فعل الآله
الله الذي أنشأكم	وبنى بالكون ماخار بناه
وهو فوق الكائنات كلها	قدراً يبلغ بالكون أنه (١)
أودع العالم قوات مضت	قوة تفعل في أخرى ثناه (٢)
فاذا ظلم وعدل حسبما	يدرك الناس على غير اكتناه
واذا خير وشر بأثر	ر (٣) قوى الكون خفياً مارواه
واذا بالخير شر أنرا	لقوى خير بأخرى في الحياه
فانظروا لخير في الارض ولا	شر بالذات محسات نواه
نظم اودعها حكمته	بمشتاق أتلاه (٤) وسباه (٥)
وبها لاشك ظلم قدرا	لنظام ماتولاه سواه
فاذا ما قيل عنه ظالم	عادل فالحكم حكم مانراه
وهو في عليائه منزه	ليس مسئولا بما تقضى يده

عبر اللطيف ما بين

(١) أناه — غايته (٢) تنه — تنه (٣) أنور — جمع أثر (٤) الاتلاه — الميرة (٥) السباه — كغراب سكة تأخذ الانسان .

كارثة نافرين

السلطان المصري وأوروبا

كان قد مضى أكثر من ثلاث سنين على شبوب الثورة اليونانية الكبرى، وكانت الدولة العثمانية قد عجزت بما فيها من جيوش واساطيل ورجال عن اطفائها، وكان الثوار، يشجعهم بعض شعوب أوروبا، قد شقوا عصا الطاعة وتطاولوا على كرامة الدولة. فمن اعتداء على الآمنين من مواطنيهم المسلمين الى فتك بعالم الدولة العزل وقطعوا طريق البحر على السفن العثمانية وغيرها واحياوا عهد القرصنة في البحر الأبيض المتوسط حتى لقد أصبح السفر فيه من اخطر الاعمال. وأغاروا على شواطئ البلاد الهادئة، وبثوا فكرة الثورة في جميع جزر هذا البحر. وما تعفوا عن جريمة ولا يتورعوا عن كبيرة من الاثم. ضاقت الدولة ذرعا واسقط في يدها، ولم تدر ماذا تصنع، وكبر عليها سقوط منزلتها في اعين هؤلاء المتمردين العاصين وتحت ايدي محرضيهم من الدول. وعظم على السلطان محموداً ان تفشل دولته ويحبس رجوله امام شعب صغير مثل الشعب اليوناني. واخذ يفكر في من يرد اعتداءهم ويقفهم عند حدهم، فنثر كنانته وعجم اعداها عودا عودا باحثا عن اصلهم وانفذها واقواها وأشدّها ليرمي به هذا الشعب الشائر، وتلك الامة المتمردة، فلم يجد الا محمد علي باشا، مبيد المماليك وقاهر الوهابيين ومخضع كريد، عش الثورة ووكرها. نرلى وجهه شطره ووجه التفاته اليه واوفد اليه نجيب افندي قبوكتخداه (معتداه) بالاستمائه باوامر كلها عطف ورعاية، يطلب اليه في رفق ان يكفيه شرأمة اليونان وان ينقذ شرف الدولة المنيان.

وصل نجيب افندي الى مصر في منتصف شهر رجب سنة ١٢٣٩ (مارس سنة

١٨٢٣) وكان محمد علي قد بلغه الامر قبل ذلك وسره ان يعهد اليه سلطانه بهذه

المهمة الخطيرة رغم دسائس حساده وخصومه في دار السلطنة ليعرف سلطانه قدر

مصر ومبلغ قوتها واستعدادها، وليعلن للعالم عن عظمتها وبطولتها إكداً للحساد

وتمهيدا لتحقيق ما يجرى في صدره من المطامع والآمال الكبيرة من انشاء دولة

شائعة ومجد باذخ . فاستقبل نجيب افندى استقبالا حافلا وقرئت الاوامر العالية باعظام واجلال فاذا بها تمنح محمد على سلطة مطلقة في اتخاذ كل ما يراه مناسبا لتأديب عصاة شبه جزيرة «مورة» واخضاع جزيرتي ادرا واسبيترا علاوة على ما كان قد كان به من قبل من اخضاع جزيرة كريد ، ومحافظة جزيرة قبرص . والقيام بهذه المهمة ينعم السلطان على ابراهيم باشا بلقب والي موره ونهر عسكر (قائد) الاسطول المصري زيادة على لقبه الاصلى (والى جده) ويضع تحت امرته عشرين سفينة من سفن الاسطول العثماني ويطلق له الحرية في جلب جميع سفن النقل التابعة للحكومة العثمانية والموجودة في موانئ جنوب الاناضول وموانئ سورية وفي استنجار ما يرغب استنجاره من سفن التجار الافرنج والمسلمين .

هذه السلطة لم تعجب محمد على كثيرا لانها جاءت على خلاف ما كان يرجو ولم تحقق ما كان يتوقى اليه من الاستقلال المطلق في البر والبحر والقيادة العامة على كل بلاد اليونان وجميع جزر البحر الابيض المتوسط اذ جعلت الدولة له شريكا من ابغض خلق الله اليه الا وهو خصمه الالد ورقبيه العنود محمد خسرو باشا (والى مصر سابقا) اذ جعل قائدا عاما على كل اساطيل الدولة (قبطان باشا) وعهدت اليه باخضاع باقى الجزر اليونانية وبالاشراف على الاعمال البحرية عامة وشعر محمد على ان وجود خصمه فى القيادة البحرية العامة فيه إخلال باستقلاله وانقاص من حريته وعرقلة لمساعيه وارتباك فى الاعمال وتأخير للحركات الحربية وبعد عن النصر وضياع الفخر ، لان البحر كان اهم ميدان للثورة وان خسرو كان قد اثبت عجزه فى هذا الميدان من قبل ذلك .

استاء محمد على من ذلك وانقلب سروره الى كدر وفترت عزيمته بعد ان كان يلهمب شيرة ونشاطا . وكتب الى كثير من اصدقائه فى دار السلطنة يرجوهم ان يتوسطوا له لدى السلطان لمنحه القيادة البحرية العامة مؤقتا ريثما يقدم ثورة اليونان فلم يقبل هذا الرجاء وتغلب حزب خسرو على حزبه فكان لذلك اسوأ وقع فى نفسه ، ولكنه لم يستطع التنصل من مهمته ، واخذ يعد جيشا برى وآخر بحريا ومجهزه باحدث ما فى ذلك الوقت من مهمات واسلحة ، وما حان شهر

ذى القعدة سنة ١٣٢٩ (يوليه سنة ١٨٢٣) حتى كانت الاسكندرية تموج بالجند
وتغص بالمؤن والذخائر . اما ميناؤها فكانت كمحشر لثلف السفن والقوارب
وقامت على شاطئ ميناء المحمودية جبال من بقساط وسمن وعسل ودقيق وشعير
و والنقود والمصاريف ؟ فهذا صراف الجيش البرى يتسلم عشرين الف
كيس لتوزعها على الجند وذاك صراف جيش البحر يقبض خمسة الاف ذيرها
وهؤلاء تجار الافرنج يأخذون اجر سقنهم وأولئك تجار المسلمين يحاسبون على ما لهم
وهنا مدافع توضع فى السفن وهناك جبنخان يقسم على الأليات .

وفى ١٩ ذى القعدة كانت السفن قد اخذت حمولتها واحتملت ركابها . وفى
٢٢ منه سارت باسم الله مجراها ومرساها وعدتها ٥٣ سفينة حربية مابين فرقاطه
وجوالت وبريك وقرصان وحرقة حربية و ٥٢ سفينة ثقيلة اسلامية و ٩١ سفينة
تجارية افرنجية عابها ثلاثون الف جندي باحماهم ، منهم ثلاثة الاف من الفرسان ،
يقودهم البطل الاكبر والقائد الاعظم ابراهيم باشا

وكان محرم بك محافظ الاسكندرية وصهر الباشا على رأس السفن
المصرية .



قبل ان نقتف اثر الاسطول المصرى لنعرف اين ذهب ونشاهد اعماله
وحركاته يجب ان نأتى على وصف مختصر لرجاله وسفنه ونقفى على ذلك بوصف سفن
الثوار ورجالها لنمكن المقارنة بين قوى الطرفين البحرية والحكم على نتيجة
الحرب . فالاسطول المصرى رغما عما بذله محمد على فى اعداده وتدريبه كان
يقنصه كثيرا فى المعدات ليظهر فى الفنون البحرية .

من لغو القول ان نكرر ان ابراهيم باشا كان من افذاذ القواد . ولكننا لم
نسمع شيئا عن اشتراكه فى معارك بحرية قبل الآن ، وكان هذا بلاشك من
اهم عوامل الضعف فى الاسطول . اما العامل الثانى فانحصر فى ان رجال الاسطول
كانوا حديثى عهد بالاسفار الطويلة قايلى الخبرة بفن الملاحة ، ولم يتمودوا على
مغالبة الانواء والمواصف والحركة تحت الريح وفوقها والسرعة فى السكر والفروى

ادارة السفينة واستعمالها ولم يخوضوا أية معركة بحرية وكان اكثر السفن كبير الحجم
بطيء السير قديم الطراز مثقل بالاحمال والامثعة : اذا مشت تفرقت عن بعضها
وتشتتت أقساما كل قسم لا يدري عن أخيه شيئا . وبعد ما بينهما من المسافات
حتى تصعب قيادتها ويتعذر جمعها ويبلغها ارادت القائد واذا هوجمت احداها
لم تدركها الباقيات حتى يكون المدوق قد اصابها بضرر أوقضى عليها .

اما اليونانيون فهم ذئاب البحر من اقدم العصور شبوا في حجرة وترعرعوا
على ظهره فاصبحوا منه بمنزلة الاسماك والحيتان لا نزعجهم العواصف ولا تروعهم
الانواء . سفتهم خفيفة الوزن سريعة السير تكن في المنعطفات والزوايا وتترصد
فريستها بين الصخور والصدوع ثم تنقض كالصواعق وتعدو كالسهام ، وفيها كثير
من متطوعي اوروبا ، يقودها رجال من المشهود لهم بالكفاءة والمدرية اما الاسطول
العثماني فكان اسوأ حالا وأقل كفاية من الاسطول المصري .

ولا حاجة بنا بعد هذه المقارنة لان نقول انه من الصعب جدا ان يوفق
الاسطولان الى التغلب على سفن الثوار وانهما يحتاجان الى جهد عظيم لكف
اذاها والتخلص من شرها فقط ، وانه كان يستحيل عليهما ان يتقدما مهاجمين .
وهذا ما حصل فعلا :

فبعد ان سافر الاسطول المصري من الاسكندرية قضى أكثر من خمسة
اشهر متنقلا بمفرده تارة ، ومع الاسطول التركي تارة أخرى ، بين جزر بحر ايجة
بسواحل الاناضول وجزيرتي قبرص وكريد ، واشتبك مع الاروام في ممركتين
نال في الاولى بعض التوفيق وانهزم في الثانية ، وفر خسرو باشا باسطوله عند
ابتداء المعركة الثانية تاركا الاسطول المصري امام قوة اكثر منه عددا . وبعد
هاتين الممركتين اقتنع ابراهيم باشا بتفوق اعدائه فعزم على التزام خطة الدفاع
والاكتفاء بالوصول بجيشه البري الى موره ليضرب في البر ضرباته المشهورة ،
وليغلبهم الاروام ان مهارتهم البحرية لا تكفي وحدها لارغام الدولة ونيل الاستقلال ،
وان كان البحر ميدان المهارة وخفة الحركة فالبر ميدان الشجاعة والثبات .

وكتب لوالده يطلعه على جلية الامر حتى ينظر في امر تنظيم الاسطول من

جديد ، وكان محمد على لا يبجى هذا الامر بل إنه أوصى منذ زمن ببناء سفن في معامل فرنسا وإيطاليا وبعث رساله لطلب ضباط وبحارة من أوروبا للإشراف على تكوين اسطول لا يكفى فقط لقهر اليونان بل يتحدى به عند اللزوم اية دولة أوروبية

وفي شهر رجب وحل جيش البر الى مورة (١ أكتوبر سنة ١٨٢٤) وانزل عساكره في ميناء مودون وقد كان الجيش البرى موقفاً فأحرز نجاحاً باهراً خلال بضعة أشهر . وفى شعبان تمكن من الاستيلاء على قلعة نفارين الحصينة وفى ذى القعدة دخل مدينة تريبوليس ولم تمض عليه السنة حتى كان قد اخضع جميع بلاد موره الداخليه . ولم يثبت فى وجهه الامدنية ميسولونجى التى قاومت مقاومة تدعو الى الاعجاب ، ولكنها أخذت عنوة فى رمضان سنة ١٢٤١ (ابريل سنة ١٨٢٥) وكان سقوطها ضربة قاضية على جمعيات محبى اليونان فى أوروبا وقسم لظهر الثورة ولم يبق فى مورة من تحدثه نفسه بالمقاومة وركن من كان فيها من زعماء الثورة الى الفرار ناجين بارواحهم ، وانقسموا الى طائفتين طائفة تريد التسليم واخرى تريد دوام النضال . وكان هذا النصر كافياً لانتهاء الثورة لو أن البحر تطهر من الثوار . ولكنهم كانوا مسيطرين عليه بل ازدادوا جرأة وقاحة . فعول محمد على على امداد ابراهيم بحملة ثانية بعد أن يدخل تعديلاً هاماً على الأسطول ويضم اليه عنصر جديد من رجال الفن من أحسن السفن الحديثة ولكنه صمم على أن لا يرسل هذه الحملة حتى يعزل خسرو من قيادة الأسطول وحتى تكون له قيادة السفن التركية التى تضم الى الأسطول المصرى . فقبل الباب العالى طلبه فى أواسط سنة ١٢٤٢ هـ سنة ١٨٢٦ م وعزل خسرو وتعين بدله عزت باشا على أن لا يخرج إلى البحر الا بيض «لكى لا يكون مرؤوسا لوزير مثله» وعين طاهر باشا ليكون فى معية ابراهيم باشا . ولكن دول أوروبا المحرضه لليونان وخصوصا انجلترا كان قد أزعجها سقوط ميسولونجى وأدركت ان ضربة أخرى فى البحر تقضى على اليونان قضاء مبرماً وتجعل الباب العالى تحت نفوذ محمد على المطلق ، وحسبت حساباً كبيراً لما يكون بعد أن يقضى محمد على على اليونان ولديه أسطول ضخم مدرب يشرف على تنظيمه رجال من أعظم

رجال البحرية الفرنسية . فكرت انكائرا في كل هذا وتصورت شبح الاسطول
المصرى ينافسها في البحر الابيض والتجارة أيضا ؟ وقد كاد محمد علي يحتكر التجارة
الشرقية وهو بلا أسطول فكيف به إذا صار صاحب اسطول له السيادة على البحر
الابيض ؟ اليست فرنسا تشجعه ؟ من يدري فربما اتفقا ضدها وانتقمت فرنسا .
كل هذه الافكار كانت تشغل بال الوزارة الانجليزية حينما دعت فرنسا وروسيا
للتدخل لمصلحة اليونان في (يونيه سنة ١٨٢٥)

كان سرور محمد علي بانتصاره على خصمه العنيد خسرو أعظم بكثير من انتصاره
جيشه في مورة . لان خسرو كان من ألد خصومه التقدماء الدائبين على السكيد له
والايقاع به عند سلطانه ولا يترك فرصة تمر دون ان يلقى في روع السلطان أن محمد
على خير مخلص للدولة وانه متى قوى جيشه وأسطوله قلب لها ظهر المجن وانفرد
بالبلاد التي تحتلها جنوده (مصر والسودان والحجاز والعسير وكريد وقبرص ومورة)
وكانت أقوالهم تلقى اصفاء تارة واعراضاً تارة أخرى .

والحقيقة أن مخاوف الدولة من اتساع نفوذ محمد على اتساعا لم يبلغه وال آخر
لم تكن مبنية على الوهم والخيال بل كان من اعماله ما يبررها . ولكن ماذا تعمل
الدولة اذ الم بها خطب جسيم ولم تجد من ينقذها منه خير محمد علي ؟ قبلت مكرهه
عزل خسرو وجعل اسطولها في البحر الابيض بامرة محمد على ونشط هو لتجهيز
الحملة الثانية وأرسل يدعو سفنه الجديدة من أوروبا ورجع الاسطول الى
الاسكندرية لاستكمال نواقصه واصلاح ما أصابه من عطب

لم يحفل محمد علي بادىء بدء بقرار الدول وظن أن الامر لا يتعدى التهديد
والتخويف وان فرنسا صديقه الحميم لا تباع صداقته حبا في الاروام ولا تتعدى
عليه بغير حق فلم يترغ فجر سنة ١٢٤٢ (سنة ١٨٢٧ م) حتى كان قد أتم إعداد
أسطول يفوق الاول عدة وعددا وفيه كثير من الضباط والبحارة الفرنسيين ذوي
الكفاية والمقدرة ومن بين سفنه أربع بوارج من أضخم البوارج وأحسنها وأرسله
الى مورة مزودا بأكثر من خمسة عشر ألف جندي من المشاة .

وصلت هذه الحملة الثانية الى مورة فقامت انكلترا وقدمت وأيقنت ان اليونان

قد قضى عليهم وأن الباب العالي قد تخلص من أكبر مشاكلة وإن محمد علي أصبح نابليوناً ثانياً ، فدعت حليفتيها (روسيا وفرنسا) للقيام بعمل مشترك لا يقف أعمال إبراهيم باشا بالقوة مادامت المساعي السياسية التي قامت بها لدى الباب العالي قد فشلت ولم يقبل منها التداخل بينه وبين رعاياه فإذا ذلك أمراً من أموره الداخلية البحتة . ولقد أيقن محمد علي أن موقف الدول المتحالفة أخذ يتطور وأن مذكراتها ومخابراتها تدل على أنها لا تهزل هذه المرة وإنها لا محالة ستقرن تهديدها بالعمل ، فخاف سوء العاقبة وكتب إلى الباب العالي يلتمس منه أن يتساهل في أمر اليونان ويمنحها استقلالاً داخلياً ولو مؤقتاً ارضاء للدول المتحفزة وكفا لشرها ، لأن الباب العالي لا قبل له بحربها ولا قدرة له على دفع اعتدائها وحذره عاقبة العناد والتصلب . فلم يكثرث الباب العالي بما يقول وأمر على وقفه السلمي نحو الدول وأرسل لمحمد علي يطلب إليه الثبات وأن يأمر إبراهيم بالمضي في أعماله الحربية . فلم يعجب محمد علي هذا العناد الذي لا يبرده ضعف الدولة فكتب ثانياً وثالثاً يكرر ما قاله والباب العالي لا يتزحزح عن موقفه . وكان أسطول المتحالين قد وصل إلى نافرين وأرسل انذاراً إلى إبراهيم باشا بتوقيف أعماله وبعدم الحركة إلى أي مكان فهاهنا ذلك إبراهيم وغازه هذا التعسف والاستبداد واجاب على انذارهم بقوله إنه موفد من قبل والده والسلطان وأنه مكلف بتنفيذ أوامرها ولا يعترف لغيرها بسلطان عليه . ومادام لم يتلق أمراً من والده بالكف عن الحرب فلا يكف عنها ومع ذلك فهو يمنح الثوار هدية إلى أن يأتي إليه الجواب على شرط أن لا يقوم اليونانيون من جانبهم بأي عمل عدائي وإن يكون له الحق بتمرين عساكره المحافظين في قلاع السواحل . فرضى قواد الاساطيل المتحدة بجوابه وانتهى الأمر على ذلك .

وجد محمد علي أن عناد الباب العالي سيجره إلى حرب لا قبل له بها ، وربما أصيب الجيش المصري والاسطول بنكبة فكتب إلى إبراهيم بأمره بالتلطف مع الدول وتوقيف الهجوم على جزيرتي ايدرا واسيبيزا ، الذي كان قد عزم على القيام به بعد وصول الحملة الثانية إليه ، وكان إبراهيم باشا يرى عدم الاذعان

الغلبات الدول لان فيها جرحا للعزة والكرامة ولكنه اضطر الى الخضوع لامر والده فوافق على الهدنة كما ذكر . وفي اثناء ذلك بلغ ابراهيم ان عمارة يونانية اتت لمهاجمة احدى الموانى ، وكان هذا العمل مخالفا لشروط الهدنة فرأى نفسه في حل من اقتصاص اثر هذه العمارة والتسكيل بها ولكنه للتخلص من كل لوم اعلن انه يريد تمرين احدى القلاع واعد لذلك حملة ارسلها تحت قيادة احد زعماء الجيش فعد الأميرال الانجليزى هذه الحركة خروجا على الهدنة واقتفى اثر الحملة وكان ابراهيم باشا قد تبعها بنفسه بعمارة أخرى فاعترض الانجليز سيره ووقفوه عن التقدم وكاد القتال ينشب بين الفريقين لولا أن قامت عاصفة حلت دون ذلك ، واجبرت ابراهيم باشا على الرجوع الى ميناء نقارين . وفي اليوم التالى لهذه الحادثة — ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ — بينما كان الأسطولان المصرى والتركي مرابطين فى الميناء لا يتوقعان شرا ولا يحسبان حسابا لمفاجأة وكان ابراهيم باشا قد ذهب الى داخل مورة ، اذا باساطيل الدول الثلاث تدخل الميناء متحفزة للقتال ، فلم يرتب أحد في نيتها ولم تطلق عليها حصون المدخل طلقة واقربت الى أن اشتبكت صواربها بصواري الأسطولين وأخذ الأميرال كودرنجتون يمين لكل منها موقفه ويتخير لها الامكنة التى تجعلها قادرة على تسديد المرمى واصابة الهدف وبعد أن تم له ذلك أرسل الأميرال الفرنسى رينى خطابا الى الضباط الفرنسيين الذين فى خدمة الاسطول المصرى يقول فيه ان فرنسا تعد من يبقى في مكانه خائنا وانه يجب عليهم الانسحاب فى الحال وترك الاسطول المصرى . فلم يرض غير قليل حتى انسحبوا جميعا وتركوا الخدمة فى وقت يطلب فيه اذاؤها ولم يتخلف منهم الا اثنان ظنا من الشرف ان يؤديا عملا اخذا عليه اجرا ولكنهما مع الاسف ، لم يسيرا الى النهاية ولفتح باب الشر ارسل الأميرال الانجليزى الى احدى الحركات التركية قاربا يأمرها بالابتعاد فلم تمتثل لانها لم تجد لذلك معنى فاطلقت عليها بارجة الأميرال وابلا من رصاص البنادق فقاتلها بالمثل وقتل ضابط انجليزى ووجدت وسيلة للانتقام من محمد على وتنفيذ المشروع المقرر تنفيذه ولو لم توجد هذه الوسيلة . وأخذت البوارج المتحدة تطلق النار بميناوشة لا فارتبك الاسطولان

وحاربا في أمرها وجاوبت بعض السفن التركية ، وحاول محرم بك إيقاف القتال ودخل في مخابرات مع الأدميرال الانجليزى فكان يراوغ ويماطل اكتسابا للوقت وتأخيرا للسفن المصرية عن الاشتراك في القتال فلما أصبح حاكما على الموقف قطع المخابرة ورفض التفاهم

استمرت نار القتال واشتد هبوبها ثلاث ساعات متواليات ودافع المباغتون دفاع الأبطال ولكن ماذا يجدى دفعهم وقد اخذوا على غرة وداهمتهم قوات تفوقهم عددا وسلاحا . وقعت الكارثة وغرق كثير من سفن الأسطولين وانسحبت أساطيل الاعتداء تجرأ ذيل الفخر والمباهاة بما أتت من بطولة تخلد لها في بياض التاريخ ، ولكن في صف القدر والقرصنة !

وكأن القدر لم يقنع بما رمى به المصريين والترك فسلط ابليس على قواد الأتراك فوسوس لهم أن المصلحة في أن يغرقوا ما بقى من سفنهم فاحرقوها بأيديهم وغرقت المؤونة فاصبح الجليش محصورا في هذه البلاد .

هذه هي الكارثة العظمى أروىها كما رواها ثقة المؤرخين لا كما لفتت بأيدي المغرضين ليطلع غايبها كل مصرى ، وينقشها على صفحات قلبه ، ولا ينسى اعتداء قضى على حرية بلاده .

مؤرخ

حضر موت و ساطانها

قطر كبير من الاقطار العربية واقع في اقصى جزيرة العرب من جهتها الجنوبية بين درجتى ٤٧ ، ٥٣ : طول شرقى ، ودرجتى ١٥ ، ١٩ عرض شمالى ، تمدها شمالا الاحقاف و بادية الدهناء وجنوبا خليج عدن وبحر عمان وغربا اليمن وشرقا سلطنة مسكت ، ويبلغ طول سواحلها من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كيلومترا اما عرضها من الجنوب الى الشمال فلا يزيد على عشرين كيلومترا . وهذا القطر جبلى تحده سلسلتان من الجبال تأتيان من بلاد اليمن يفصلهما واد يشقه نهر يمتد الى الشرق الى الغرب ثم ينعطف جنوبا ويصب فى بحر عمان عند قرية صحوت . وترتفع الجبال فى الجهة الشرقية ثم تنحدر فى أقصى الغرب الى تلال رمايه وفى الوسط يتكون منها نجد مرتفع ويبلغ ارتفاع انحلا قممها ٢٤٠٠ مترا و سطوحها يكاد يكون مستويا وهي جرداء لا يرى فيها الا قليلا من اشجار الصبر وشجرات شوكية وبعض اشجار الصفصاف . اما الوادى فارضه خصبة عامرة بفضل النهر الكبير وما يصب فيه من نهيرات اخرى كثيرة العدد . ويزرع على ضفافها القمح والذرة والتين والعنب والتين والنبق والبسلة والسهم والدخان .

اقليم حضر موت جاف صحى صيفه حار جدا وشتاؤه قارس جدا والمطر قليل فوق الجبال وكثير نوعا على السواحل . ويوجد الجليد فى انحلا الجبال حتى فى الصيف . وتغل الارض هناك ثلاث مرات فى السنة وهي تروى بطرق صناعية بما يجمع من المياه فى الآبار والسدود . لم يكتب مؤرخو العرب كثيرا عن حضر موت لوجودها فى العدوة القصوى من بادية الدهناء ولعدم اشتراكها فى النزاع على الخلافة والملك ولذلك فليس لدينا اخبار صحيحة عن تلك البلاد وكل ما نعلمه عنها من قبيل القصص . وحوادثها تنسب الى حضر موت ابن يعرب ابن قحطان وان هودا وصالحا بعثا الى اعلاها ولا يزال قبريهما هناك الى الآن ثم سكنها قوم يقال لهم الصدف ، وهاجر اليها بعد ذلك قوم من كندة اتوا عن طريق البحرين ويقول مؤرخو اليونان ان حضر موت كانت اعظم مما هي الان وكان لها عاصمة تسمى سباتا وكان يجلب

منها بخور الآلهة الذي لا تزال شجرته تنمو فيها الى الآن ، واختلفوا في سبب تسميتها فالعرب يقولون انها مركبة من كلمتين حضر مقابل البادية وموت ، ومعناه بلاد الموت ، لفساد اقليمها وهذا التعليل لا يطابق الحقيقة لان اقليمها صحى . اما اليونانيون والعبرانيون فيقولون ان دخان شجرة البخور قاتل وبهذا سميت .

والذى نعلمه من الاخبار الصحيحة عن هذه البلاد ان الاشعث بن قيس سيد الحضارمة وفد على النبي في رهط من قومه فاسلم ثم رجع ونشر الاسلام في بلده لكنه ارتد في خلافة ابي بكر ثم آب . وان قوما من الحضارمة ابلوا بلاء عظيما في الفتوحات الاسلامية ونبغ منهم بعض الشعراء الجيدين الشعر ثم ينقطع عنا اخبار هذه البلاد زمننا ويقال لنا بعد ذلك ان الشيخ أحمد بن عيسى من الطبقة السابعة من أولاد الحسين ابن علي وفد على حضرة موت من البصرة منذ عدة قرون ومعه ثمانون شخصاً من آل بيته فاستوطن حضرة موت وتناسلت فيها ذريته فكثر عددهم وعظم مقامهم وكونوا لانفسهم صنفاً ممتازاً يعرف الآن (بالسادة)

ويبلغ عدد سكان حضرة موت الآن بما يتبعها من بلاد مهره والشحر مليونا ونصف تقريباً ينقسمون الى ثلاث صنوف ، قبائل وسادة ورعية . اما القبائل فهم القادة والزعماء والحكام وعددهم كثير ويلقب زعيم القبيلة بالمتقدم أو السلطان ويسكن حصناً محاطاً بالابراج يقوم على حراسته طائفة من رجال قبيلته ويعتبر حاكماً على أهل المدن القريبة منه من التجار والصناع يدينون له بالطاعة ويدفعون له اتاوات عن متاجرهم وصنائعهم في مقابل حمايته .

أما السادة فهم ذرية الشيخ أحمد بن عيسى المتقدم ذكره وهم معظمون محترمون معافون من الضرائب يسرون في جميع البلاد آمنين مطمئنين لا يحملون سلاحاً ويقومون بوظيفة الإرشاد والتعليم الدينى ويعيشون من استغلال مزارع يستعملون فيها عبيداً من زنوج افريقية ومن الصومال ويلقب كل منهم بلقب (حبيب) و(منسب) . والرعية هم سكان المدن والقرى المشتغلون بالتجارة والصناعة وهم قوم مجتهدون نشطون يحملون حاصلات بلادهم على سفنهم الى الهند والبحر الاحمر وسواحل افريقية الشرقية ويجلبون من هناك ما يحتاجون اليه ويستغلون

بصناعة السفن ولكنهم هم فقط الذين يدفعون الضرائب في البلاد ولكل مقدم وكيل في المدينة يسمى (ابو) يشرف على تمصيل ضرائبه وبيع حاصلاته بواسطة الدالين الذين يسميهم الاهالي (كلاب السوق) أما الزراعة والجندي (وهي ليست إجبارية) فهي في يد القبائل .

وعلى العموم فاهل حضر موت رجال جد وعمل ذو وصبر على المكاره وتحمل للمشاق واذا ضاقت باحدهم الحال ترك بلاده مهاجراً الى الهند او الى جاوه وصوماتره فيشتغل بالتجارة او الملاحة أو الحمل حتى يثرى فيرجع الى بلاده يقضى بقية عمره في راحة وهناء . ولهم الآن جالية كبيرة في جاوه وفي الهند ويذهب أولاد زعماء القبائل الى الهند فيلتحقون بخدمة نخامة النظام سلطان حيدر آباد فيكرم مشواهم ويستخدمهم كضباط في جيشه على الجنود من أبناء بلادهم ويرقيهم الى المراتب العالية في الجيش . وهم رضيو الاخلاق كرام النفوس متعصبون في دينهم ليس في بلادهم يهودى ولا نصرانى وأثر العلم ضل بينهم وقبائلهم لا تسكن الخيام بل الاكواخ والمغارات وأهل الحضر يسكنون بيوتا مرتفعة البنيان ويتكلمون بلغة عربية تقرب من لغة أهل اليمن الا في اقصى الشرق فيتكلمون لسانا يسمى العقيلي . وأعظم القبائل نفوذا الآن قبيلة « كيتى » حتى من احياء يافع جاءت الى هناك من اليمن وهي أكبر القبائل نفوذا وفي يدها أهم موانى البلاد ومدنها وهي الشحر ومكلا من الموانى وهورا وشبام وحاجرين من مدن الداخل وإلى هذه القبيلة ينتسب عظمة السلطان صالح بن عوض نزيل مصر الان وهو من أوسع السلاطين نفوذا وأعظمها خطرا تعلم تعلما راقيا في الهند وعمل على ادخال النظم الحديثة والتعليم في منطقته وتنظيم الضرائب والتسوية فيها بين الاهالى وهو على صلاة سياسية مع الحكومة الانجليزية وقد اعترفت الاخيرة بسلطنته . وبما ان بلاد حضر موت من البلاد التى تجمعها بمصر روابط عديدة فانتا نرحب بعظمة سلطانها في بلادنا ونتمنى له لئيب المقام كما نرجو أن يجد في مصر ما يليق بمركزه كزعيم شرق اسلامى كبير من الحفاوة والاحلال

هل صلب اليهود المسيح؟

ملخصه عن كاسيل

طفت بحار دموع وانهملت دماء على الطريق الصخرى الوعر الذى أخذ يقطعه اليهودى التائه منذ ضرب في انحاء المعمورة بعد ان هدم بيت المقدس وطرد من ارض الميعاد . ولهذا الاضطهاد المريع سببان، الاول اقتصادى جنسى، والثانى دينى

ولست اقصد في هذه العجالة تقدير النسبة المئوية بين الاسباب الاقتصادية الاجتماعية والاسباب الدينية — فهى لا تنقص عن أربعين في المائة ولا تزيد عن ستين في المائة على أى حال — ولكن الذى أقصده هو محاولة الاجابة على السؤال الآتى « ما هى المبررات التاريخية التى تبرر مطاردة المسيحيين لليهود منذ قرون عديدة مضت، بفكرة أنهم هم الذين صلبوا الآله الخالد وقبما نجلى في شكل مواطنهم يسوع الناصرى ؟ »

ولو كانت أعمال البشر تسير بموجب قواعد المنطق لوجب على الكنائس كافة أن تزج في صلواتها دعوات حارة لليهود لاشتراكهم في تنفيذ فكرة الخلاص. أليس اليهود هم الذين صلبوا المسيح وهو الامر الذى هبط الى الارض من أجله؟ ألم يأت ليخلص العالم وليغفر خطاياهم بدمه وليزيل وصمة الخطيئة الاولى من جبين الانسانية؟ فاليهود لم يكونوا إذن أكثر من آله صماء سخرها القدر لتنفيذ القضاء حسب ما هو مسطور في كتاب الله . فالواجب علينا اسداءهم الشكر بدلا من ان نتعقبهم ونعمل على إفنائهم وهم هم الذين تسببوا في نشر السلام والمحبة على الارض بعد أن أزهقوا روح المسيح

ولكن ليس على ظهر البسيطة من مفكر منطقي غير الاطفال السذج الذين يسبحون بأفكارهم في أثير شفاف غير ممتلىء بالقذى . إذن فلنحاول بحث الموضوع على أناس آخر

هنالك من يعتقد أنه ليس لدينا بيانات تثبت وجود شخص اسمه المسيح وروح

هذه الجماعة هي مدرسة الكتاب المقدس الهولندية التي تقول إن المسيح ليس الا شخصية خيالية أنبتتها الثقافة اليونانية عندما مزجت بتعاليم مدرسة الاسكندرية اليهودية الاغريقية . فهي قد تمثلت مثلاً أعلا نبشته من قصص العهد القديم ومن كتاب « جمهورية أفلاطون » الذي صور فيه الرجل العادل، وتنبأ عما يلاقيه من الاضطهاد والظلم والسجن والعذاب وتكون نهايته الصاب . فاذا ما ماشينا هذه المدرسة وجب التسليم بفكرة انه ما دام المسيح لم يوجد فلم يحدث، أنه قد قتل؛ ويتبع ذلك ان ليس هناك قاتل

ولكني لن أجادل على أساس تعاليم هذه الجماعة ولا تعاليم المدرسة الالمانية التي ترجع قصة المسيح الى ما يسمونه « أساطير العامة » والتي لا تعلق مثقال ذرة من الاهمية على شخصيته، مع أنها لا تصرح جهاراً نافية وجوده . فانا سأبحث الموضوع على أساس أن المسيح وجد حقيقة في القرن الاول الميلادي، ولكن يجب التفريق تماماً بين التسليم بان المسيح كان موجوداً وبين الاستنتاج عن وجود مستندات ذات قيمة تثبت أنه كان موجوداً . فهذا مالا يمكن العثور عليه مطلقاً

اسلم بان المسيح كان موجوداً برغم ما شاب قصة وجوده من معجزات منها إحياء الموتى، وبالرغم من وقوع حوادث مرعبة قبل ولادته كقتل « ديرودوت » لآلاف من الاطفال . الامر ان اللذان لم يذكر عنهما يوسفوس خبراً ولو طفيفاً مع أنه كان يقيد كل واردة وشاردة من مظالم ذلك الطاغية (ديرودوت) وكذلك لم يذكر المؤرخون المعاصرون بالاقول مجزرة الاطفال المرعبة . أجل اسلم بوجوده بالرغم من أن ظروف مجازته غير معقولة وسترى البرهان وبالرغم من حدوث أمور مذهبة وقت صلبه مثل انتشار الظلام لمدة ثلاث ساعات وقيام الاموات القديسين من قبورهم لزيارة المعارف والاحباب ، لأن سينيكاً وبيلى الكبير، لم يذكر هذا الحادث « الطبيعي » المدهش، في حين أنهما سجلا كل ما حدث في وقتها من الظواهر الجوية والتغيرات الفلكية . أجل اسلم بانه كان موجوداً بالرغم من أنه قام من بين الاموات وعاش على وجه الارض مدة تتراوح بين أربعين ساعة وأربعين

يوماء، ولو لم نعثر في سجلات الحكومة الرومانية، حتى ولا على إسم يسوع المسيح دون ذكر بعض حوادثه. إسم بكل هذا لأن إسم المسيح قد زج بين سطور ما كتبه يوسفوس خلال كلامه عن عهد يختلف عن العهد الذي يزعمون ان المسيح وجد فيه

أبدأ فاقول إن أقرب تاريخ يقدره أ كثر المحافظين لكتابة أول إنجيل من الاناجيل الاربعة يبعد جيلا واحداً على أقل تقدير من العهد الذي يقال ان المسيح وجد فيه، أي أن الذين عاصروا المسيح ليسوا الذين كتبوا عنه، بصرف النظر عن الاخذ بالتقديرات البعيدة فوالحالة هذه يمكن القول دون تحيز أنه لم تؤخذ مذكرات دقيقة عن حياة وأعمال المسيح تباعاً. فالصورة التي تحاول لاناجيل اظهارها عن تأثير المسيح في معاصريه فيها شيء كثير من التخيل والمغالاة وإذا رجعنا الى الاناجيل الاربعة نجد ما لا ي بالاختلافات والتضارب والبولن شاسع بين ما ذكر في انجيل يوحنا بالاختصاص وثلاثة الاناجيل الاخرى، ليس في العموميات فقط، بل في الاسماء والاماكن والظروف نجد مثلاً ان مسرح يوحنا هو أرض «يهودا» في حين يكتب الآخرون عن حوارات وقعت في الجليل وفي بيت المقدس على وجه خاص ولا يمالك القارىء ذاته من القلق اذا شاء التثبت من يوم صلب المسيح أكان في ١٤ أو في ١٥ نيسان (إبريل) وهو أمر حثير في ذاته اذا لم يتوقف عليه تعيين يوم عيد الفصح

كذلك يتضح للذى يقرأ بولس الرسول انه كان في عهده انجيل اختفى وكان هذا الانجيل شوكة في حلقومه. وهذا واحد من عدة أناجيل اختفت في عصر اوروبا الدينى المظلم الامر الذى يصح الاستنتاج به بان هناك كانت فترة من الوقت اقدم فيها الكتاب على تصنيف قصص خيالية حاولوا فيها تصور شخصية عاليا. هل كان من الممكن أن يصلب اليهود المسيح متخذين نيلاطس آلة صماء لتنفيذ أغراضهم؟ يجب أن يتبادر للذهن لأول وهلة ان الجريمة ترتكب لاجتناء فائدة من وراءها فاذا ما وافقنا على ذلك فلنبحث بعده عن الذى كان يستفيد من أزهاق روح المسيح، ومن هو الذى كان من صالحه التخلص من التعاليم المسيحية؟

اجل كانت توجد بين تعاليم المسيح والتعاليم اليهودية بعض فوارق الا انها كانت — في بادىء الامر — غير ذات بال . وقد ظهر غيره بامثالها دون أن يحتاج الرأى العام الى الدرجة التى يرومون تصويرها لنا . ومن الاناجيل يمكن بسهولة ملاحظة أن المسيح لم يحاول أن ينسخ، بل أتى ليتم . وبمقارنة تعاليمه بما هو موجود بالعهد القديم وبالتلمود سنجد فرقاً يكاد لا يذكر ، في حين أنه اقتبس شيئاً كثيراً جداً منهما .

وقد يقول قائل إنه ربما تكون لهجته هى التى أهاجت اليهود عليه مثل « يانسل الافاعى وخلافه » وردا على ذلك أقوال إني أستبعد صدور هذه الالفاظ من شخص كامل كاذب يصورونه وأرى أنه من المعقول أنها كتبت فى القرن الميلادى الثانى تشهيراً باليهود لان الخلاف بينهم وبين المسيحيين كان على أشده والمذابح تحدث بين آن وآخر . ثم اليست حملة المسيح على الكهنة تشبه شيئاً مما حوته كتب أشعيا وارميا والحكمة ؟

كان المسيح وطنياً أكثر مما كان يحتمله عصره ومن أجل مبدئه الوطنى ساوى بين اليهود وغير اليهود وهذه النصرة الوطنية مع لقب ملك اليهود لها اثر فى الاناجيل ولكن هذا الاثر ليس بكثير البروز لان ماتتناقله ايدينا من الاناجيل الحالية ملائ بذكر المعجزات والاقاويل . فى حين ان الجزء التاريخى منها موجز جداً ومضطرب . وهل لا يستلفت النظر حادث دخول المسيح الى بيت المقدس وترحيب الناس به ترحيباً نفخاً والقاؤهم بسعف النخل فى طريقه ؟ فكيف لا يمكن التوفيق بين هذا الحادث وبين قضية اتهام ييلاطس له بالثورة بل كيف ينتظر ان يهتف له الشعب يوم الاحد ويهينونه يوم الجمعة أى بعد اربعة أيام فقط ؟ قد يقال ان هذا ليس بمستغرب من العامة وهم هكذا دائماً ، ولكن يجب ان نتساءل هنا ، اذن كيف يمكن التوفيق بين هذا المظهر الغير مستبعد وبين ما تحاول الاناجيل افهامه لنا من انه كان للمسيح سلطان عظيم على الناس ؟! أكان كاحد قواد العامة العاديين أم كان صاحب مبدأ جذاب آلهى ؟

واليسب قصة يهوذا غريبة أيضاً ؟ يقال إنهم رشوا يهوذا ليدلهم على مكان

المسيح مع أنه دخل المدينة جهارا دخول المنتصر وذهب الى حيث كان يقيم ولم يذكر بأنه كان قاطع طريق هارباً من وجه العدالة

وهل كان القانون الروماني يخول لرجال الدين تشكيل محكمة من اختصاصها الحكم بالاعدام وهو حكم مدني يختص به القضاة والمحلفون وفقاً لنص الشريعة الرومانية ؟ لنفرض ان هذا حصل، فهل غاب عن أولئك الاذكاء ان الحكم بالقتل من الاشياء التي يكاد يحرمها الشرع الاسرائيلي ؟ فلاعتراف في شريعة موسى لا يعد دليلاً كافياً الا اذا شهد بوقوع الجرم شاهدان عادلان في ميسورهما اثبات ان المتهم وجد من حذره من نتيجة ما هو قادم على اقترافه فلم يعر التحذير التفاتاً . يضاف الى ما سبق ان من شروط حكم الاعدام صدوره في مكان مخصوص من الهيكل وفي رابعة النهار وليس كما هو مذكور في الاناجيل من ان الحكم صدر بمنزل كبير الربانين في غسق الليل كما انما الحكم قد اصدرته جمعية سرية ارهابية . كذلك توجب الشريعة اليهودية ان ينفذ حكم الاعدام بعد عقد جلستين في يومين تفرقهما على الاقل ليلة واحدة ليتيسر للقضاة مراجعة ضائرتهم فيها. وكذلك يعطى لكل من حكم بالادانة فرصة لتغيير رأيه في الجلسة الثانية، في حين يمنع الذي حكم بالبراءة في أول جلسة عن الرجوع عن رأيه ولعدم تأثير القضاة تؤخذ الاراء مبتدئة من الصغير فالأكبر ويعطى أكبر الكل رأيه اخيراً وذلك حتى لا يتأثر صغير السن والمركز برأى رؤسائه

ولا تعقد المحاكم في ليالى السبت ولا ليالى العيد ولكن الاناجيل تذكر ما هو مخالف لهذا تماماً. فهل لم يتقيد اليهود متدينوهم وخاصيتهم مع عامة بهم باحكام التوراة لان الاناجيل تقول كذلك ؟ كان اليهود وما زالوا اكثر الامم تمسكاً بحرفية احكام كتابهم المقدس

ويصف المؤرخان فيلو ويوسيفوس وشيرهما ييلاداس بعكس ما وصفته به الاناجيل تماماً. فبينما نقراً أن الامبرطور تيبيريوس ارسل له يقول « يدبر الراعي الصالح شؤون قطيعه وليس يقتلهم » من جراء ما اقترفه من الجرائم اعتماداً على الظن وبدون محاكمة، تقول الاناجيل ان ييلاطس قرر بان المسيح بريء وانه لا يحمل دمه. أليس ذلك من الغرابة بمكان ؟

منسوبة لمحمود

التناحر على البقاء

وتطبيقه على النظام الاجتماعي

قامت النظرية الداروينية في النشوء على مذهب الانتخاب الطبيعي . على أن الانتخاب الطبيعي لا يكون له أساس الا بالتناحر على البقاء . والتناحر على البقاء لا يكون له وجود الا بنزعة الأحياء الى التغيرات والاختلاف . اذن فمذهب النشوء الحديث قائم على ما يظهر في العضويات من ضروب الاختلاف عن صفات آباءها . فالأفراد الذين يمتازون على غيرهم بصفات جديدة يتغلبون على سواهم في معركة التناحر على البقاء وتكون النتيجة انتخاب الاصلح أو الانتخاب الطبيعي .

على ان العلامة داروين لم يقتصر في بحثه على نتائج الانتخاب الطبيعي وحده بل دعم نظرية الانتخاب بابحاث مستفيضة في الانتخاب الصناعي ، الذي هو رهن على اختيار الانسان لأرقى الأفراد لاستيلائها ، والانتخاب اللا شعوري ، الذي هو رهن على نزعة الإنسان اللا شعورية الى الانتقاء .

ولقد قامت حول هذه النظرية معركة قلمية كبرى اشترك فيها علماء منهم هكسلي وسانت جورج ميقات وأساقفة كان على رأسهم مستر ولبر فورس أسقف منشستر ولم تكد تضع هذه الحرب القلمية أوزارها وتنتهي بانتصار النشويين حتى بدأ العلماء يطبقون المذهب على فروع العلوم الحديثة من أدبية وعلمية واجتماعية . غير أن نظريات داروين لم يسىء فهمها فئة من الكتاب والباحثين بقدر ما أساء الاجتماعيون . فقد أخذوا الفكرة على ظاهرها وطبقوا المذهب على اعتبار أنه حقيقة انما تعبر عنها المعاني الظاهرة من اصطلاح « التناحر على البقاء » . لهذا أخطأوا ومضوا في خطئهم زماناً طويلاً ظهرت خلاله صور من الفلسفة الاجتماعية كانت فلسفة نيتشه في المانيا وبنيامين كيد في انجلترا عنواناً عليها ورمزاً لها .

ولقد بنى نيتشه على هذا المبدأ مذهب في السوبرمان — أو الانسان الأعلى — جاعلاً مثله الذي تخيله انساناً لا بد من أن ينتهي بالانتصار في معركة

التناحر على البقاء . وبدأ الناس يخضعون لموجيات هذا المبدأ مطبقاً في الاجتماع على هذه الصورة حتى لقد تناول هذا المذهب تصورات رجال الحرب والسياسة والمتاجرين ، وكاد ينقضى بذلك عصر الاخلاق الفاضلة — بل كادت الانسانية تتجرد من كل ما يمتاز به من الصفات التي ترفعها عن أفق الحيوان . صفات الرحمة والشفقة والعمل على إغاثة ذوى الضعف والفاقة .

أما العالم الانجائزى الفذ « كيد » فقد بنى فلسفته الاجتماعية على ما يقرب من هذه الأفكار غير أنه لم يذهب في التطرف مذهب نيتشة . ففي كتابه الاول « التطور الاجتماعى » Social evolution وفى كتابه الثانى « علم القوة » Science of Power قد مضى يضرب الامثال على مذهب التناحر للبقاء وانتهى من بحثه بفكرة أن التناحر قانون ثابت فى نظام الاجتماع .

وكانت لهذه الأفكار آثارها العميقة في الادراك العالم . وما نظن أن الحرب الكبرى النتيجة من نتائجها وأثر من آثارها . فن فئة ما اذا اعتقدوا يوماً بان الانتصار في الحياة يرجع الى القوة وحدها والامتياز بصفات ليست لغيرهم من سلالات النوع البشرى ، لاجرم ينزعون الى القوة ويتخذونها في الحياة دستوراً وماجاً يفرعون اليه للتسود في هذه الدنيا

غير أنه من حسن حظ الانسانية أن عمر هذه الأفكار كان قصيراً . فلم يمض على ذبوعها عقدين من الزمان حتى ظهر في ميدان البحث العلامة الكبير البرنس كوربوتكين الروسى واثبت بما لا سبيل الى ادحاضه أن التناحر على البقاء في عالم الحيوان معناه التعاضد المتبادل بين الصور الحية مطبقاً بذلك نظرية داروين على وجهها الصحيح ، لان داروين في الواقع كان قد نبه في غير موضع من كتابه « أصل الانواع » على أن اصطلاح التناحر على البقاء مجازى صرف لا يجب أن يطبق على مقتضى المعانى المدركة في ظاهره

وعقب عليه العلامة الكبير « وولتر بيجهوت » فنشر في مجلة الفورتنيل سلسلة مقالات جمعها من بعد في كتاب عنوانه الطبيعيات والسياسة Physics & Politics وقضى به على كل أثر للفكرة القديمة في التناحر على البقاء لدى تطبيقها على

الاجتماع ، وأثبت فوق ذلك أن عصر التناحر الانسائي سيكون ذهنياً صرفاً أى يرجع الى الجدل والتفوق العقلي .

ولقد كتبنا هذا الفصل بعد أن اطلعنا على بحث اجتماعي ملأه كاتبه بكثير من الدعاوى التي لا يقوم عليها دليل واحد من الادلة العلمية . ولا جرم ان مباحث العلم اذالم تحدد تحديداً صحيحاً لا يمكن ان تؤدي الى نتيجة علمية ثابتة كما انها في العمليات قد تؤدي الى أسوأ النتائج

والحقيقة أننا في حاجة الى تحديد مصطلحات العلم تحديداً تاماً . ونحن أحوج الى فهم مدلولاتها أضما ف مانحن محتاجون الى تحديدها وتعريفها .

منذ بضع سنوات ، قرأت في إحدى المجلات الكبرى بمصر بحثاً فائضاً لرجل من كبار رجال العلم الذين عهد اليهم اذ ذاك بتربية النشء الحديث اذ كان يشغل وظيفة عليا في وزارة المعارف ضمنه ، كثيراً من الآراء التي أقامها على مذهب داروين في التناحر على البقاء وادعى في سياق ذلك البحث الغريب أن الانسانية لا بد من أن تنتهي يوماً ما بتفوق سلالة واحدة من سلالاتها العديدة ودافع عن فكرة إبادة الشعوب الملونة في أمريكا وأستراليا وجزر المحيط الهادى . ولا ريبه مطلقاً في أنه مادافع عن هذه الفكرة الا وهو مقود باعتقاد راسخ في أن التناحر على البقاء عبارة عن معركة دموية شديدة يسود فيها القوى على الضيف ويبيده .

ان تزويد الناس بسلاح مثل هذا انما يحل من روابط المجتمع بل ويقضى على فكرة القانون . اذا ما تطرف الناس في تطبيقها ومضوا ينجنون ثمراتها التي تحفزهم اليها غرائزهم الشهوانية . فالواجب إذن ان نفهم مصطلحات العلم بمدلولاتها الصحيحة لئلا تقع في فوضى اجتماعية اذا ما انتحاننا فكرة اسأنا فهمها وأخذنا نطبقها على مقتضى ما فهمناه منها .

الضحية

رواية تمثيلية كاملة

تأليف الشاعر الالهى العظيم

رابندرانات طاغور

الاشهر

«الى الابطال الذين ايدوا السلام ، فى اوقت الذى تقدمت فيه
الضحية البشرية الى آفة الحرب» .

مقدمة المترجم

ليس من شىء هو أبعد عن الاقساط فى القول ، وأدنى الى العسف من
وضع مقدمة يحاول فيها الباحث أن يلزم القراء أن يتفوا بادراكهم عندما وصل اليه
إدراكه من هذه الرواية . فإن المعانى ضخمة عظيمة ، والصور ملآى فائضة .
ولكن الواجب فى هذا الموضع أن تنبه على أن أشخاص الرواية اذا اخذوا على
أنهم شخصيات جامدة ، لاشخصيات معنوية ، فقد الباحث أخص ما تقوم عليه
الرواية من المعانى التى رعى اليها الشاعر الكبير . وكذلك الحال فى أكثر روايات
طاغور ، فإن شخصياتها معنوية صرفة . لهذا نختار من الاطناب بتعريف
ما تمثل الشخصيات من المعانى . واليك ما أدركنا من المعانى :

الآلهة قالى — الوهم

غوفندا — الارادة

نكشاترا — الضعف النفسانى

جاسنج — التضحية

ابارنا — الحق

راغوبانى — الاعتقاد

جونافانى — الامومة

نايان راى — الواجب

فانك اذا قرأت الرواية قراءة أو رأيته ممثلة على هذا ، أمكنك أن تدرك

المرمى الحقيقى الذى رعى اليه طاغور فى روايته ، وهو حب السلام والقضاء على آلهة
الحرب التى تمتص دم الحياة وتضحى بها على مذبحها .

اسماعيل مظهر

*
*
الضحية

معبد في تبيرا

تدخل الماسكة جونا فأتى وتخطب النصب

جونا فأتى — هل أغضبتك يا أمى العزيرة ؟ أنت تمنحين المتسولات أولاداً
يبيعهم ليعشن بما يبذل لمن من ثمن ، وللباغيات يقتلنهم ليسلمن من العار .
وهأنذا ملكة عظيمة ، وتحت قدمى تسجد الدنيا كلها . هأنذا أمفى بالحنة بلا
أمل فى أن أحظى بلمسه طفل أضمه الى صدرى ، لعلى أنعم بعاطفة تجعل حياتى
أغلى قيمة وأكبر خطراً . أى جرم اقترفت ؟ وأية كبيرة ارتكبت يا أماء ،
لأستحق كل هذا ، ومن أجلها تطرديننى من ملكوت الامهات ؟

يدخل الكاهن راغوبأتى

جونا فأتى — هل علمت يا أبت أنى قصرت فى واجبات التعبد ؟ وزوجى !
أأست تجمد فيه من صفاء القلب ما يشبه صفاء الآلهة ؟ فلماذا شئت آلهتنا التى
تغزل شبكة هذا الوهم الدنيوى ، أن تنبذنى فى صحراء العقم المجذبة ؟
راغوبأتى — إن أمنا هيكلم مجسم من القواصر العاتية . إنها لاتعرف قانوننا .
أما أحزاننا ومسرانا ، فمجرد وساوس تمر على خاطرها . اصبرى يا بنتى ! فانتنا
سنقدم اليوم ضحية باسمك ، عساها ترضى !

جونا فأتى — تقبل طاعتى واحترامى يا أبى . ان قربانأتى فى طريقها الى المعبد
حيث أرسلت بأغصان الريحيسكوس الحمراء ، والحيوانات التى سوف يضحى بها
(يخرجان)

*
*
*

يدخل الملك غوفندا ، وجاسنج خادم المعبد ، وأبارنا السائلة

جاسنج — ماهى رغبتك يا مولاي ؟

غوفندا — هل صحيح أن تنزهذه البنت الفقيرة قد أحضر عنوة الى المعبد ليضحي
به ؟ وهل تقبل أمنا مثل هذه العطية بقبول حسن ؟

جاسنج — كيف يمكننا أن نعرف من أين يلتقط الخدم المضحايا التي تقدمها كل يوم أثناء تعبدنا ؟ ولكن ! لماذا تبكين أيتها البنت ؟ أين خلق بك أن تبذلي دموعك سخية فائضة من أجل شيء أخذته منك الام العظمى ؟

أبارنا — الام ! إني أنا أمة . اذا تأخرت عن القدوم الى كوخى ، فإنه يرفض الحشائش التي تقدم له طعاما ، ويظل متطلعا بعينه الى الطريق . إني أضمه بين ذراعى لى عودتى ، واقتسم وياه غذائى ، وحاجات حياتى . إنه لا يعرف أمّا شيرى .

جاسنج — لو انى أستطيع أن أرد على العنز الحياة ثانية ، ولو قدمت بذلك قسما من حياتى ، لفعلت عن طيب خاطر . ولكن كيف أستطيع أن أرد شيئا أخذته الأم بنفسها ؟

أبارنا — الأم ! ان هذا لكذب . كلا . انها ليست بأم ، بل شيطان . !

جاسنج — يالك كفر !

أبارنا — هل أنت مقيمة هنا أيتها الام ، لاعمل لك الا أن تسلمى من بنت فقيرة مثلى ما تحب ؟ إذن فأين العرش الذى أقدم اليه شكواى منك ؟ خبرنى عن هذا أيها الملك ؟

غوفندا — إنى صامت يابنتى . ليس عندى من جواب .

أبارنا — هل هذه القطرات التي تجري على الدرج هي قطرات دمه ؟ عند ما اضطربت صائحا رهبة على حياتك ، لماذا لم تصل الى صميم قلبى صرخاتك من بين جنبات هذه الدنيا الصماء ؟

جاسنج — (موجه الكلام الى النصب) أيتها الام «قالى» : لقد خدمتك منذ حدايتى ، وحتى الآن لا أستطيع أن أفهمك ! هل الشفقة شيء خصت به الذوات الفانية الضعيفة وحدها ، ولم تخص به الآلهة ؟ تعال معى يابنتى ، فلأفعل لك ما أستطيع فعله . ان الغوث يجب أن يبذله الانسان ، اذا ضنت به الآلهة .

(يخرج جاسنج وأبارنا)

يدخل راغوباتي ونكشأترا أخو الملك والبطانة الملكية

الكل — فليحيي الملك .

غوفندا — اعلموا جميعاً بأنى أمرت بأن لا تبرق دماء داخل المعبد بعد الآن .

وزير — أنت تأمر بأن لا يضحي للآلهة ؟

الجنرال نايان راى — أأمر بمنع الضحية ؟

نكشأترا — ما أ كبر هذا ! أأمنع الضحية ؟

راغوباتي — هل هذا حلم ؟

غوفندا — ليس حلماً يا أبت ! إنها منظمة . لقد حضرت الى الام فى صورة ابنة

مقبورة ، وأخبرتني أنها لا تسمح باراقة دماء بعد الآن .

راغوباتي — لقد ظلت تشرب الدماء أجيالاً . فمن أين جاءت الكراهية ، ومن

أين هبط التعفف عن الدماء ، فجاءة وبلا انذار ؟

غوفندا — كلا . انها لم تشرب دماء أبداً . بل ظلت طوال العصور مترفعة عن هذا .

راغوباتي — إني أحذرك ! فكر واعتبر ! إنك لا تستطيع أن تعطل شرائع جاءت

بها الكتب المقدسة .

غوفندا — إن كلمات الله فوق كل الشرائع .

راغوباتي — لا تمزج أوهامك بالكبرياء . هل بلغت سفاهتك مبلغاً يخيل اليك

معه أنك وحدك الذى سمع كلمات الله ، ولم أسمعها أنا ؟

نكشأترا — ان هذا العجيب ! وأعجب منه أن يكون الملك قد سمع من الآلهة

ولم يسمع الكاهن !

غوفندا — ان كلمات الله ترن أصديتها فى جنبات الدنيا كل آن . ولكن الذى

يتصامم عنها لا يسمعها .

راغوباتي — يالك من ملحد ! يالك من مجدف !

غوفندا — أيها الأب . اذنب لتقوم بفرض الصباح ، وأنتان على انلا

أنهم سوف يعاقبون منذ اليوم بالنفى اذا تجرأ أحدهم على أن يهدر دم الحيوانات

فى عبادة الأم : موجدة كل المخلوقات .

راغبواتى — أهذه كبتك الأخيرة ؟

غرفندا — نعم .

راغبواتى — إذن فملك اللعنة ! هل زين لك وهمك ، بل صورت لك كبرياءك أن الآلهة ما دامت تقيم فوق أرضك فقد أصبحت من رعيته ؟ هل تتوهم أنك تستطيع أن تقيدها بشرائك ، وأن تمنع عنها حقوقها ؟ إنك لن تفعل هذا ! اتى أصارك به ، أنا خادمها وعبيدها .

نايان راي — اسمح لى يا مولاي أن أسألك . هل لك هذا الحق ؟

الوزير — أيا الملك . ألم يبق من محل لأن ترجع عن أمرك ؟

غرفندا — اتنا لا نجرأ على أن نتسكأ في استئصال الخليفة من أرضنا !

الوزير — لا يمكن أن تمتع الخليفة بعمر مديد كهذا . هل يمكن أن تكون

تلك المراسم التعبدية التى نشأت وأرباها تطاول الزمن حتى اعتقت تحت قدمى

الآلهة من الخلفيات ؟

(يصمت الملك)

نكشاترا — بالتحقيق . إن هذا غير ممكن .

نايان راي — هل لك من حق فى أن تستأصل شيئاً كسب مع الزمان حقاً

وأصبح لزاماً ؟

غرفندا — لا أريد أن تتادوا فى هذه الشكوك والمناقشات . اذهبوا وأذيعوا

أمرى فى كل البلاد .

الوزير — لكن ! يا مولاي ! إن الملكة قد أرسلت بقراناتها للتضحية فى

هذا الصباح ، وأنها تكاد تبلغ باب المعبد الآن .

غرفندا — عودوا بها .

(ويخرج)

الوزير — ما هذا ؟

نكشاترا — هل منبسط إلى مسترى البوذيين الذين يظنون أن العجاوات

لها مثلنا حق الحياة ؟ يا للحماقة !

(يخرجون جميعاً)

* *

يدخل راغوباتي ووراءه جاسنج وييده جرة فيها ماء

جاسنج — أيها الأب .

راغوباتي — اذهب !

جاسنج — هنا قليل من الماء .

راغوباتي — لا حاجة لي به

جاسنج — وثيابك ؟

راغوباتي — اذهب بها بعيداً .

جاسنج — هل أغضبتك في شيء ؟

راغوباتي — دعني منفرداً . لقد تضخمت أشباح الخطيئة . ان عرش

الملك يرفع رأسه الممرور فوق مذبح الميكل .

أنت يا آلهة هذه الأيام المكونة المنكوسة ! هل أنت على استعداد لأن

تتقبلي شرائع الملك حانية الرأس ، خاشعة البصر ، خاضعة له خضوع البطانة

والحاشية ؟ هل اجتمع الناس والشياطين متناصرين ليذهبوا بملكوت الآلهة من

هذه الأرض ، وعجزت السماوات عن أن تذود عن حظيرة شرفها ؟ ولكن لدينا

البراهمة ، إن غابت عنا الآلهة . وسوف يقدم عرش الملك انيران غضبهم قرباناً .

يا بني إن عقلي مضطرب ذاهل .

جاسنج — أي شيء حدث يا أبت ؟

راغوباتي — أعجز عن أن أجد كلمات أعبر بها عما حدث . اسأل الأم ،

آلهتنا التي استبيح حماها .

جاسنج — استبيح حماها . ومن استباحه ؟

راغوباتي — الملك غوفندا .

جاسنج — الملك غوفندا يستبيح حمى الأم « قالي » !!!

راغوباتي — اتمد استباح حمى وحماك وحمى الكتب المقدسة ، وحمى

كل البلاد والأزمان . استباح حمى «مها كالى» آلهة الزمان المنحدر بلا نهاية ،
وهو جالس على عرشه الضئيل المتداعى .

جاسنج — الملك غوفندا . . !

رغوبانى — نعم نعم . ملكك غوفندا ، حبة قلبك ، وسميرقوادك
بالثقة وفائك ! أبعد أن اهبك كل قلبى لأنشئت وارفع ذكرى ، أجداك
أكثر وفاء لملك غوفندا مما أنت لى ؟

جاسنج — إن الطفل انما يرفع يديه للبدر المضيء وهو جالس على صدر
أبيه . انت ابى . أما بدرى المنير فالملك غوفندا .

أحقيقة إذن ما أسمع من الناس بأن الملك حظر التضحية داخل المعبد ؟
ولكننا لا نستطيع أن نطيعه في هذا .
راغوبانى — النفى ان لا يطيع .

جاسنج — ليس بخطب أن ينفى الانسان من أرض تصبح فيها عبادة
الام ناقصة مبتورة . كلا فانى ما دمت حيا ، فلا بد من أن تظل خدمة المعبد
كاملة وواجباته ، وؤداة على أحسن حال .

(يخرجان)

* * *

تدخل جونافانى ومعها خادم

جونافانى — ما الذى تقول ؟ أيرجع قربان الملكة من باب المعبد ؟ هل فى
هذه البلاد انسان يحمل فوق أكتافه أكثر من رأس واحد ليجرأ على أن
يفعل هذا ؟ من هو ذلك المخلوق التعيس ؟

الخادم — انى اخشى أن اسميه

جونافانى — انخشى ان تسميه وأنا أسألك ؟ من فى هذه البلاد يخافه
أكثر مما تخافنى ؟

الخادم — اعف عني

جونافانى — مساء الامس ليس ببعيد عندما حضر مغنو البطانة يرتلون

مدأخى . وبالامس باركنى البراهمة . والخدم كانوا يتقبلون أوامرى فى صمت
وهدهوء . فماذا حدث حتى تنكرت كل الاشياء فى برهة واحدة ؟ أنكرت على
الآلهة عبادتها ، كما أنكرت على الماسكة سلطتها ؟ هل أصبحت بلاد « تريبورا »
أرض الاحلام ؟

بلغ الكاهن تحيى رأسه أن يحضر الى .

(يخرج الخادم)

* * *

يدخل غوفندا

جونافاتى — هل سمعت ايها الملك ان قربانى قد رد ثانية من باب معبد
الام ؟

غوفندا اعرف ذلك

جونافاتى — انت تعرف ! ومع هذا تقنع رأسك للاهانة !

غوفندا — انى اسألك العفو عن هذا الجانى

جونافاتى — انى اعرف ايها الملك انك رحيم القلب . ولكن هذه ليست رحمة .

ان هذا لضعف . اما اذا كانت شفقتك ستكون سببا فى ان تصفدك بالاعلال ،

اذن فترك أمر العقاب فى يدي . وما عليك الا ان تخبرنى من هو ؟

غوفندا — أنا الجانى أينها الملكة . أما جريمتى فليس لها أثر ، الا انى
جعلتك تتألمين .

جونافاتى — انى لأفقه ما تقول

غوفندا — منذ اليوم منعت اهراق الدماء فى هيكل الآلهة فى بلادى .

جونافاتى — من الذى يمنعه .

غوفندا — الأم نفسها .

جونافاتى — من سمعها

غوفندا — أنا .

جونافاتى — أنت ! ان هذا يضحكنى . أتخضر ملكة الدنيا بزمها وتقتد

الى أعتاب ملك « تريبوزا » وييدها عريضة تطلب بها معونته ..
 غوفندا - لم تحضر بعريضة في يدها، ولكن بأحزانها .
 جونا فأتى - ان سلطنتك لاتتعدى الى داخل المعبد . لاترسل باوامرك الى
 هناك ، لانها لن تنفذ .

غوفندا - ليس الامر امرى . ان الامر أمرها . أير الأم
 جونا فأتى - اذا لم يكن لديك من شك في أمرك هذا ، فلا أقل من أن لاتقف
 عشرة في سبيل معتقدى . دعنى أقوم بواجب دينى حسب ما أرى .
 غوفندا - لقد وعدت آلهتى بأن امنع تقديم الضحايا الحية في المعبد ، ويجب
 على أن أنفذ ما وعدت به .
 جونا فأتى - وأنا أيضا وعدت الآلهة بدم مائة عذ ومائة عجل . ولا بد لى
 من تنفيذ وعدى . ولك أن تتركنى الآن .
 غوفندا - كما تريدن

(يخرج)

يدخل راغوباتى
 جونا فأتى - لقد عادت قرباناتى من المعبد يا ابتاد !
 راغوباتى - ان الصلاة التى يقوم بها أدقع المتسولين وأشد هم خصاصة ،
 ليست باقل قيمة من صلواتك أيها الملكة . ولكن البلوى فى أن الأم قد جردت
 من حقوقها . والكارثة فى ان كبرياء الملك قد انقلبت تدينا ، زعجا منتفخ
 الاوداج ، يمنع عنا الرحمة القدسية ، ويحجج المصلين المتعبدين بعينيه الناريتين
 القادحتين بالشرر .

جونا فأتى - وأى شىء يترتب على هذا يا ابتاه ؟

راغوباتى - هذا فى علمها هى : التى تزود هذه الدنيا بما يلد لها من احلام .
 أما الذى انا متحقق منه ، فهو أن هذا العرش الذى يريد الجالس عليه ان يغشى
 على معبد الام بسلطانه ، سوف ينفجر كفتاعة ماء ، ويفنى فى خلا بالانهاية .

جونافاتي - كن رحيمًا ونجنا يا ابتاه .

راغوباتي - أنا أنجيكم !! أنت زوجة ذلك الملك الذي يفخر بأن ملكوته قد ملأ الارض وفاض عنها فوصل الى السماء ؟ هذا الذي يظن أن الآلهة والبراهمة يجب ان يطيعوه ؟ يا للعار ! يا لهذا الزمان الاعوج . سترين كيف يكون الامر عندما تنصب عليه لعنة البراهمة ، وتلدغ عقله حتى الحنون .
(ويحاول تمزيق خيط التضحيات)

جونافاتي - (منعه) ارحمنا . !

راغوباتي - اذن ردوا على البراهمة ما هو حق لهم
جونافاتي - سا فعل . اذهب ياسيدى وانصرف الى صلواتك ولا تهتم بشيء بعد الآن .

راغوباتي - لاشك في أن مروءتك تغمرني . إن لحظا واحدا من سحر عينيك ، كاف لان ينقذ شرف الآلهة من العار ، ويرد على البراهمة حقوقهم المقدسة .
ولتكوني مباركة الى يوم الدين
(يخرج)

* * *

يعود الملك غوفندا

غوفندا - ان ظل الغضب الظاهر على جبينك ، يخفي كل الانوار المنبعثة من قلبك .

جونافاتي - اذهب ! لاتكن سببا في صب اللعنة على هذا البيت .
غوفندا - ان ابتسامة المرأة تذهب بكل لعنة من البيت . اما حبها فرحمة من الله .

جونافاتي - اذهب ولا ترني وجهك مرة أخرى !
غوفندا - سارجع أيتها الملكة عند ما تتذكريني
جونافاتي - (متعلقة بقدمي الملك) ... ساحبني ايها الملك . هل تصلب قلبك حتى انك نسيت أن تحترم كبرياء المرأة ؟ الا تعرف يا حبيبي أن الحب اذا قُتل حيث ينتظر أن ينجح ، تذكر بثوب الغضب ؟

غوفندا - إني أموت ولا شبهة اذا قدت ثقتي فيك . انى اعرف يا عزيزنى
 أن مقام السحب لساعة ، أما الشمس فلكل الأيام .
 جونا فأتى - ستمر السحب ، وسوف يرتد الرعد ، صوت الغضب الآلهى ،
 الى اجوائه القصية ، وسوف تشرق شمس الايام على التقاليد القديمة الباقية منذ
 أبعد العصور . نعم ياهليكي العزيز . مربي هذا . ليرجع البراهمة الى مزاولة حقوقهم
 والتمتع بها ، ولتعد الآلهة الى ضحاياها ، ولترتد سلطة الملك الى حدودها الزمنية
 غوفندا - ليس من حق البراهمة أن ينتهكوا الخير المطلق - الخير
 الأبدى . ان دم المخلوقات ليس وقفاً على ضحايا الآلهة . وانه من حق الملك ، كما
 أنه من حق أحقر فلاح ، أن يحافظ على الحق ، وأن يدفع عن الانتقام ما يهوش
 سبيلها .

جونا فأتى - إني أعفر نفسى فى التراب راجية ، وعلى مواطىء قدميك أركع
 جاثية . إن العادة التى تميزها الازمان الطويلة ، والقرون المتعاقبة ، ليست من حق
 الملك فى شىء . إنها كهواء الجو ، ملك للجميع . ومع هذا فإن ملكتك
 تستجديك ، ضامة يديها على صدرها ، بالنيابة عن الناس ، وبالاصالة عن نفسها .
 هل يمكن أن تظل ساكتاً أيها الرجل المتكبر ، رافضاً رجوات الحب لتقوم
 بواجب لا ريب فيه ؟ إذن فاذهب . اذهب من أمامى ، وابتمد عنى .
 (يذهبان)



يدخل راغوباتى ومعه جاسنج ونايان راى
 راغوباتى - أيها القائد . إن ولاءك للأمم أمر معروف غير مشكك فيه .
 نايان راى - إنه تقليد ورثته عن أسلافي .
 راغوباتى - إذن فالتزود من هذا الحب القدسى بشجاعة لا يشوبها خوف
 ولا تعرف زكوصاً ، ولتجعل شجاعتك نصل سيفك قويا حاداً كرعيد الآلهة ،
 وليستعلى بمكانه على كل القوات والاماكن التى هى فى الارض .
 نايان راى - إن تباريك البراهمة لن تذهب سدى .

راغوباتي - إني آمرك أن تحشد زحفك وتحطم عدو الأم إلى الحضيض، وتجمعه تراباً.

نايان راي - خبرني يا أبت من هو عدوها؟

راغوباتي - غوفندا...

نايان راي - ملكنا!

راغوباتي - نعم. هاجمه بكل ما أوتيت من قوة.

نايان راي - إنها لصحيحة فاسدة. يا أبت! هل تقول لي هذا القول لتبيلوني؟

راغوباتي - نعم لأبلوك. ولأعرف خادم من أنت؟ دع عنك كل تلك

أو تران. وأعرف أن الآلهة تدعونا. وهناك يجب أن ينفرط عقد كل الروابط التي تربط الناس فوق الأرض، مادامت قد دعتنا.

نايان راي - ليس في ذهني تران أو تلك. إني أقف ثابتاً في مكاني الذي وضعته في الآلهة.

راغوباتي - إنك لشجاع.

نايان راي - أأكون أحق من خدم الأم بأن أطيع الأمر، فأصبح خائناً جباناً؟ إنها هي بذاتها التي تقوم حفيظة على العقيدة التي ينطوى عليها قلب الإنسان! هل يمكن أن تسألني هي أن أحل روابطها وأن أنقض عهدها؟ أما إذا وقع هذا، فليوم ينسبك إليك إلى الحضيض، وفي الغداة تنسف الآلهة مع الريح!!

جاسنج - ما أشرف هذه الكلمات وأنبها!

راغوباتي - إن الملك، وقد خان عهد الأم، قد فقد كل سلطان عليك، وجعلك بعمله هذا في حل من طاعتك وخضوعك له.

نايان راي - لا تقذف بي يا أبت إلى تيه. موحش في الجدل العقيم. إني لا أعرف سوى طريق واحد، هو الطريق المستقيم، صراط العقيدة والحق. وإني على الرغم من أنني أعتبر نفسي خادماً ضعيف الفهم من خدام الأم، لا أستطيع مطلقاً أن أتكذب هذا الطريق العاوي، طريق الأمانة وأشرف. (يخرج)

جاسنج - انشبت على عقيدتنا كما هو ثابت ياسيدي. لماذا نطلب مساعدة الجنود؟ إنا لذو قوة في أنفسنا جديرة باتمام واجبتنا الذي تدعونا إليه السجاء.

افتح يا أبت باب المعبد على مصراعيه ، ودق الطبول ، ونادى : إلى أيها الناس .
إلى لتعبدوا الأم التي سوف تذهب بكل خوف من قلوبكم . تعالوا يا أبناء
الأم العظمى

(يدخل جمع من الرعية)

الأول — تعالوا . تعالوا . إننا مدعوون .

الكل — النصر للأم .

(يغنون ويرقصون)

« الأم الحاملة ترقص عارية في ساحة القتال ،

« ولسانها مندلع من بين شفتيها كهيب النار الحمراء ،

« وجدائها السوداء تطير مع الهواء وتغشى على الشمس والنجوم ،

« ومن أطرافها الداكنة بلون السحاب النقال تجري أنهار من الدم ،

« والدنيا تضطرب وتفرقع صدوعها من وقع أقدامها .

جاسنج — هل رأيتم عجائز القربان آتية نحو المعبد يسوقها خدام الملكة؟

(الجميع يصيحون)

النصر للأم . النصر للمكتنا .

راغوباتي — أسرع يا جاسنج وتهيأ للصلاة .

جاسنج — كل شيء قد تهيأ يا سيدي .

راغوباتي — أرسل رجلا ليدعو الأمير نكشاترا عني .

(يذهب جاسنج والجاهير تغني وترقص)

* *

يدخل الملك

غوفندا — إلزم الصمت يا راغوباتي ! أتجراً على أن تفسق عن أمري .

راغوباتي — نعم سأفعل .

غوفندا — إذن فلست بمجدير بأن تبقى في بلادى .

راغوباتي — كلا إن الأرض التي تجدر بي هي التي يقبل فيها تاج الملك

التراب . كلا .

أيها الناس ! احضروا ضحايا الأم الى هنا
(يضربون على الدفوف)

غوفندا — اسكتوا

(ومشيراً الى أتباعه)

أدعوا الى قائد جيشي . انك يراغوباتي قد حملتني على أن أدعو الجند ليحموا
ذمار الحق الآلهي . اني لاشعر بنجل من أجل هذا . لان قوة السلاح انما تعبر
اصدق تعبير عن ضعف الانسان .

راغوباتي — أيها الشاب . هل أنت على يقين من أن البراهمة قد فقدوا كل حقدهم
القديم ؟ كلا . فان السننها ستندلع من قلبي لتحرق عرشك وتتركه رماداً . أما
اذا عجزت تلك النار عن أن تفعل هذا ، إذن فسوف ألقى بالكتب المقدسة الى
النار ، ومعها كبرياء البراهمة ، وكل الاكاذيب المأهولة من فضاء المعبد وهياكله

* *

يدخل نايان راى وشندبال قائد الجيش الثاني

غوفندا — قف هنا بمجنودك لتمنع التضحية بالحياة في المعبد .

نايان — سامحني يامولاي . فان خادم الملك المطيع ، عاجز مفقود الحيلة بين جدران
المعبد الآلهي .

غوفندا — أيها القائد . ليس لك أن تناقش أوامري . وعليك أن تنفذ كلماتي .
أما خطوها أو صوابها ، فذلك من شأني وحدي .

نايان — إني خادمك يامولاي . ولكني رجل قبل كل شيء . بي عقل ولي دين .
وكما أن لي ملكاً ، فلي أيضاً آله .

غوفندا — إذن سلم سيفك الى شندبال ، انه سوف يحمي المعبد من إراقة الدماء .
نايان راى — لماذا سلم سيفي الى شندبال ؟ ان هذا السيف اعطاه أجدادك الملوك
الى آبائي الاولين ، فذا أردت أن أردده ، فاني انما أردده لك أنت لالغيرك .

« اشهدوا على يا بائي ، يامن يعيشون في جنة الإبطال ، اشهدوا بان هذا السيف

لذى ألبسته ثوب القداسة بولائكم وشجاعتكم ، يسلم الآن الى الملك .
(ويخرج)

راغوباتى — ان لعنة البراهمة قد بدأت تنصب وتعمل عملها .
(يدخل جاسنج)

جاسنج — لقد تهيأت العجاوات للتضحية .

غوفندا — تضحية ؟

جاسنج — اصغ أيها الملك لتوسلاتى القلبية . لا تقف فى الطريق لتحجب الآلهة
عن الانظار ، وأنت ذات فانية .

راغوباتى — جاسنج ! أى عار هذا . قف واسألنى العفو ، أنا أستاذك وسيدك .
إن موقفك يجب أن يكون عند قدمى لا عند قدمى الملك . أيها الآخرق الاحمق .
أتسأل اجازة الملك لتقوم بفروض الخدمة لله ؟ لنترك الصلاة والتضحية . ولنقف
مترئين ناظرين ما سوف تؤدى اليه كبرياؤه فى النهاية . تعالوا معى .

(يذهبون)

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟ أليس هنا ؟ بل انت هنا وحملك أيتها الصورة الصماء
التي لا يمكن لشيء أن يحركها ؟ أنت تسلبيننا كل ما هو لدينا عزيز من غير
أن تنبسى ببنت شفة . إنا نمجى وراء الحب ، ونموت فى الجوع والتسول بحناؤه
ومع هذا فهو يأتيك غير مطلوب ولا مرغوب فيه ، ولو انك فى غير حاجة اليه ؟
كالتبر الصامت تخزنين الحب تحت أحجارك الثقيلة ، ضانة به على الدنيا التي
تنشده . وأنت يا جاسنج ؟ أية سعادة تجد فيها ؟ وأى كلام فى استطاعها أن
تلقيه اليك ؟

أى قلبى ؟ أى قلبى المرور بالمحل ؟

(يدخل راغوباتى)

راغوباتى — من أنت ؟

أبارنا — أنا بنت متسولة . وأين جاسنج ؟

راغوباتى — أتركى هذا المكان فى الحال . إنى عالم بانك إنما تفشين هذا المكان
لتسلبى قلب جاسنج من الآلهة .
أبارنا — هل للآلهة أن تخشى منى شيئاً ؟ انى أخافها
(ونخرج)

* *

يدخل جاسنج والامير نكشاترا .
نكشاترا — لم ناديتنى ؟
راغوباتى — فى الليلة السابقة أخبرتنى الآلهة بانك ستصبح ملكاً فى خلال اسبوع
نكشاترا — آه . ان هذا بلديد بالتحقيق .
راغوباتى — نعم . ستكون ملكاً
نكشاترا — انى لا أستطيع أن أصدق هذا
راغوباتى — أشك فى أقوالى ؟
نكشاترا — لا أريد أن أشك . ولكن أفرض أنه صودف ولم تتحقق .
راغوباتى — كلا انها سوف تكون حقيقة .
نكشاترا — ولكن خبرنى . كيف يمكن أن تصبح حقيقة ، وبأية وسيلة ؟
راغوباتى — ان الآلهة عاطشة . ولا تروى الا بدم ملك .
نكشاترا — دم ملك !
راغوباتى — يجب أن تهيبها هذا الدم وتضحى به من أجلها قبل أن تصير ملكاً .
نكشاترا — ولكنى لا أعلم كيف أجده .
راغوباتى — لدينا الملك غوفندا

(لا تتحرك يا جاسنج)

أتفهم ؟ اقله سراً . واحضر دمه حاراً الى المذبح
(جاسنج ! أترك هذا المكان اذا لم يكن فى استطاعتك السكون)
نكشاترا — ولكنه أخى وأنى أحبه .
راغوباتى — ولهذا ستكون تضحيتك اكبر قيمة وأنبل ذكرا .

نكشأترا - ولكنى قانع بأن اظل كما أنا يأبت . إني زاهد في الملك .
 راغوباتى - لامفر لك ، لأن الآلهة تأمر به . أنها جاثقة لدماء من بيت الملك .
 فإذا كان أخوك سيعيش ، فلا بد لك من أن تموت .
 نكشأترا - ارحمنى يأبت !

راغوباتى - انك سوف لاتكون حراً ، ميتاً أو حياً ، حتى تنفذ رغبتها .
 نكشأترا - اهدنى يا ابت كيف انفذها !
 راغوباتى - انتظر في صمت . سأخبرك بما تفعل عندما تؤذن الساعة .
 فاذهب الان .

(يخرج نكشأترا)

* * *

جاسنج - ماذا الذى سمعت ؟ أيتها الام الرحيمة أهذا أمرك ؟ أرغبتك فى
 أن يقتل الاخ اخاه ؟

سيدى ! كيف تقول بان هذه هي ارادة الام ؟
 راغوباتى - لم تكن لدى من وسيلة أخرى لخدم آلهتى .
 جاسنج - وسيلة ! ولماذا الوسائل ؟ أيتها الام . اليس لديك سيفك القاطع
 لتنفيذ أنت بيدك القوية ؟ أهو لزام أن تذهب ارادتك حافرة تحت الذى
 انفاقا ؟ كما يفعل اللص القاتل ، لتسلب سرا في الظلام ؟ بالخطيئة !
 راغوباتى - ماذا تعرف عن الخطيئة !
 جاسنج - ماعرفته منك ؟

راغوباتى - اذا قف معى . قف وتلق درسك ثانية منى . ليس للخطيئة من
 معنى فى الواقع . انك تقتل لتقتل . ليس فى ذلك من خطيئة أو أى شيء آخر .
 الست تدرى أن ترى هذه الارض انما يتكون من عدد غير محدود
 من حوادث القتل والتفطيع ؟ ان الزمن القديم ما ينفك بمخطط حوادث الحياة المنحدرة
 فى جوف العدم مع مخلوقاتهما بمداد من دم . يقع القتل أينما تتصور . فى القفر المجدب
 وفى حظائر الانسانية ، وفى عشوش الطير ، وفى حفر الحشرات ، وفى البحر ، وفى

السما . وهنالك قل من أجل الحياة ، وقتل من أجل التسلية ، وقتل للأشياء أصلاً .
الدنيا تقتل من غير أن تهتدأ . نوبتها . وكذلك الآلهة « قالى » ، روح الزمان
الفائض بالفتنة ، واقفة ولسانها العاطش مندلع من فمها ، وكأنها يدها ، حيث
اليه يتسرب دم الحياة القانى ، كما يتسرب الزحيق الى الدنان من عناقيد
العنب الشهية .

جاسنج - قف يا استاذى . اذن فالحب تضليل ، والرحمة سخرية ؟ وكل
ما فى هذه الحياة ، من حق باق منذ أبعاد الزمان ، منحصر في مهمة القتل والتعطش
الى الهدم والتعطيم ؟ وإذا صح هذا افليس من المعقول أن تكون الحياة قد حطمت
بعضها بعضاً وفنت منذ ازمان قصية ؟

إنك انما تلعب بقلبي يا استاذى ؟ انظر هنالك . انما تنظر الى وعلى شفيتها
تلك الابتسامة الحلوة التى تنم عن السخرية .

أيتها الام المتعطشة الى الدماء . هل تقبلين دمي ؟ هل أغمد هذا الخنجر في
صدرى وأضع نهاية لحياتى ؟ هل الدم الذى يجرى في هذه العروق لك فيه شهوة ،
وفى عقلك منه نزوة ؟ أيتها الام العاطشة دماء .

يا استاذى ! هل تدعونى ؟ إني لأعلم انك انما تريد أن ينفطر قلبى المأ
فيفيض من صدرى على قدمى الام ، وهذه تكون التضحية الصحيحة . ؟ ولكن
دم الملك ! هذه الام الوحلة حباً فيك ، أتهمها بنزوة القتل وحب الدماء ؟
راغوباتى - اذن فلتتغطل التضحيات في المعبد

جاسنج - نعم ! ليكن . كلا . كلا .

يا استاذى إنك تعرف الحق ، كما تعرف الباطل . ان شرائع القلب ليست
بذاتها شرائع الكتب المقدسة . العيون لا تستطيع أن ترى بنورها هي . بل يجب
أن يأتى اليها النور من الخارج . اعف عنى يا استاذى . أعف عن جهلى .
والان خبرنى يا أبت . أصبح ان الآلهة ترغب فى دم الملك ؟

راغوباتى - وأسفا يا بنى . هل فقدت ثقتك بى ؟

جاسنج - ان حياتى تتوقف على ثقتى فيك . وإذا كانت الآلهة ترغب حقيقة

في دم الملك فاني احضره اليها . وسوف لا اسمح مطلقا لـ اخ ان يقتل اخاه .
 راغوباتي - لا يمكن ان يكون تنفيذنا لاوامر الله خطيئة
 جاسنج - كلا انه لزام ان يكون خير . وسأنتهز فرصة نيله
 راغوباتي - ولكن انشأتك يا بني منذ حدثتكَ ، وشببت قريبا من قلبي ،
 ولا استطيع ان اقتلك مهما كانت الاحوال
 جاسنج - سوف لا اجعل حبك مدنا بالخطيئة . ويجب عليك إذن ان
 تحمل الأمير نكساتنا من عهده
 راغوباتي - سافكر ، ثم اخبرك عما اري من رأى في الغداة .
 (يخرج)



جاسنج - ان العمل والتنفيذ ، مهما كان فيه من القسوة ، لا روح على النفس
 من جحيم الفكر والشك . انك لعلي حق يا أستاذي ، والصدق فيما نطقت به . لا خطيئة
 في أن تقتل . ولا خطيئة في ان يقتل الاخ اخاه . ولا خطيئة في ان تقتل الملك .
 الى اين انتم ذاهبون ؟ الى سوق نيسابور ؟ الى حيث ترقص النساء . آه ما
 احلى هذه الدنيا ! ان اطراف الفتاة الراقصة جميلة متناسقة
 من اجل اية تسلية تجري هذه الجماهير على الطريق مائة جوانب
 الفضاء بصياحها المتعالي ؟ سابعهم لارى
 (يدخل راغوباتي)

راغوباتي - جاسنج !
 جاسنج - اني لا اعرفك ساغر نفسي في همم الجماهير . فلماذا تأمرني بالوقوف ؟
 اذهب في طريقك .

راغوباتي - جاسنج !!
 جاسنج - الطريق ممهد أمامي : سأسلكها ويدي جرة الصدقات وهي
 البنت المتسولة أتخذها رفيقة . من ذا الذي يقول بأن طرق الدنيا ممتوية متعسرة ؟
 على أية حال سوف تبلغ بنا النهاية : النهاية التي تنهى بها سلطة الشرائع والاحكام

وتنسى معها خطيئات الحياة وآلامها ، حيث تلك الراحة الابدية : ماذا تجدى
 هنا الكتب المقدسة ، والمعلمون وتعاليمهم ؟ يا أستاذى : يا أبت ما هذه الكلمات
 البائرة اتى نطقت بها ؟ أكنت فى حلم ؟ هنالك يترجم المعبد ، كالمق فى
 ثباته وقوته . ماذا كانت أوامرك يا أستاذى ، انى لم أنسها بعد ؟
 (ويخرج مديته)

انى أحد كلماتك فى ذهنى ، حتى تبلغ من المضاء ، تبلغ هذه المديّة . هل لديك
 أى أمر آخر لا تلقاه هناك
 راغوبانى — يا ولدى ! يا حبة قلبى بأى لسان أعبر لك عن مبلغ حبي لك ،
 وعطفى عليك

جاسنج — لا يا أستاذى . لا تحدثنى عن الحب . فلا فكر دائماً فى الواجب .
 إنما الحب كالخشيش الاخضر وكالأشجار وكوسيقى الحياة ، كلها أشياء ينعم بها
 سطح الأرض . إنها تأتي وتغنى كالأحلام . ولكن من وراء هذه الأشياء يكون
 الواجب ، كطبقات الصخر العاتية ، أو كحمل ثقيل لا يمكن أن ترزحه القوات
 (يخرج جان)



يدخل غوفندا وشندبال

شندبال — يا مولاي انى اضلك ان تأخذ حذرك
 غوفندا — ماذا تعنى ؟

شندبال — ان مؤامرة تدبر لاختيالك
 غوفندا — من ذا الذى يريد حياتى

شندبال — احذر ان اخبرك يا مولاي . لئلا يكون اخبر افعار فى قتلك من المديّة ذاتها
 الامير فكشأترا هو الذى
 غوفندا — فكشأترا !

شندبال — لقد وعد راغوبانى بأن يحضر دمك الى المعبد .

غوفندا الآلهة ؟ إذن فليس لي أن ألوذ به . لأن الإنسان يفقد إنسانيته ، إذا مس الأمر آلهته . أنت تذهب الآن لعمالك وتتركني وحدي .
(يخرج شندبال)

الملك مخاطباً الصورة :

« تقبلي هذه الزهرات ، أيتها الآلهة ، قرباناً وأتركني مخلوقاتك تعيش في سلام . أيتها الأم ، إن الضعفاء في هذه الدنيا قليلوا والحياة . أما الأقوياء فقساة غلاظ الأكباد . إن الطمع بلا شفقة ، والجهل أعشى ، والكبرياء لا تبالى عند ما تحيل الأضعفين تحت أقدامها . أيتها الأم . لا ترفعى سيفك وتقفى تتلظمين متعطشة للدماء . لا تشري الأخت على أخيه ، والمرأة على رجلها . أما إذا كنت شهوتك متجهة إلى أن أظعن بيد شخص هوانى ، إذن فلتكن رغبتك ، ولتنفذ مشيئتك . لأن الخطيئة يجب أن تنضج وأن تذهب إلى أقصى حد من البشاعة قبل أن تنفجر براكينها ، وقبل أن تمر مية سحرية غير محسوس بها . فإن دم الملك إذا أفرق بيد أخيه ، فهناك تخفى نبهة الدماء وجهها الشيطاني ، تاركة تبعة العمل واقعة على عاتق الآلهة . وما دامت هذه هي إرادتك ، فاني أطأطأ لها الرأس احتراماً »

(يدخل جاسنج منزعجاً)

جاسنج - خبريني أيتها الآلهة ! هل أنت حقيقة في حاجة إلى دم ملكي ؟
اطلبيه بصوتك ، وأنت تنالينه .
صوت - أريد دمًا ملكياً .

جاسنج - أيها الملك صل صلاتك الأخيرة ، فإن ساعتك قد حانت .

غوفندا - ما الذي جعلك تنطق بهذا القول يا جاسنج .

جاسنج - ألم تسمع ما نطقت به الآلهة .

غوفندا - انها لم تكن الآلهة التي نطقت ! اني سمعت صوتاً أعرفه حق

المعرفة . انه صوت راغوباتي .

جاسنج - صوت راغوباتى ! كلا . كلا . لا تقذف بى من شك الى شك .
سواء أصدر الصوت عن الآلهة ، أم عن الاستاذ
(يخرج مديته ويقذف بها بعيداً)

أصغ الى صياح أولادك أيتها الام . تقبلى الزهرات الجميلة وحدها قربانا .
لا تطلبى من الدماء مزيداً ! إن هذه الزهرات حمراء بلون الدم . هذه الباقات
المحوكة من زهر الزيبيسكوس . إنها أنشأت من قلب الارض المتفجر غضباً
وحقداً على قتل أولادها . تقبلى هذا ! انه يجب عليك أن تقبلية . انى لا أخشى
غضبك . أما الدماء فلست تنالنيها أبداً من بعد هذا . لترفعى سيفك ، وتبجظ
عينك ! صبي علينا ، هلكات السخط والتخريب . اننى لا أخافك ولا أرهبك .
أيها الملك . اترك هذا المعبد لآلهته . واذهب لرجالك .

(يخرج غوفنداً)

وأسفاد . فى لحظة واحدة أبذل كل ما كان لدى . استاذى ! وآلهتى !
(يدخل راغوباتى)

*
*
*

راغوباتى - لقد سمعت كل شىء أيها الخائن . لقد خنت أستاذك .

جاسنج - عاقبنى يا أبت .

راغوباتى - أى عقاب تستحق ؟

جاسنج - عاقبنى بالموت

راغوباتى - كلا . فان الموت لاشىء . اقسم قسمك وأنت تلمس قدمى الآلهة

جاسنج - المس قدميها ؟

راغوباتى - قل : سأحضر دماً ملكياً الى مذبح الآلهة قبل أن

ينتصف الليل !

جاسنج - سأحضر دماً ملكياً الى مذبح الآلهة قبل أن ينتصف الليل .

(يخرجان)

...

تدخل جونا فاتي

جونا فاتي - لقد أخفق سعي . لقد ظننت بأنني لو ظلت جامدة هادئة بضعة أيام ، فانه سوف يسلم بما أطلب . كان في وسعي أن أنعم . مثل هذا الاعتقاد . أبة امرأة خرقاء أنا ! أظهرت أشد الغضب ، وظللت بعيدة عنه . وكان كل هذا بلا نتيجة . ان غضب المرأة كالألاء الماس ، يضيء ، ولكنه لا يحرق . كنت أحب أن يكون كالرعد ينفجر فوق قصر الملك ، فيزعجه من نومه العميق ، ويحطم كبرياءه الى الحضيض .

(يدخل الفتى دروفا)

♦♦♦

جونا فاتي - إلى أين أنت ذاهب ؟

دروفا - إن الملك يدعوني .

(يخرج)

جونا فاتي - هنالك يذهب هذا الفتى ، حبة قلب الملك . لقد اغتصب أولادى الذين لم يولدوا بعد حب أبيهم ، واعتدى على حقهم حيث تربع في قلب الملك سلطانا آمراً . أيتها الام « قالى » : إن خلقتك بلا نهاية ، مملوء بالصورة والاعاجيب . ارسلنى الى بطفل اضمه بين ذراعى ، ولو في الخيال وخطرات الوهم . أنه لن يكون أكثر من قطعة من اللحم البشرى تسد فراغى ، وتؤنس وحشتى ، وسوف لا ابخل عليك بهباتى مهما طلبت . (يدخل نكشاترا)
أيها الامير ! نكشاترا . لماذا ترجع ؟ انى امرأة ضعيفة ، مفلولة السلاح ، بل مملوءة ذعراً ، قاتضة رعباً .

نكشاترا - كلا . لاتنادينى :

جونا فاتي - لماذا ؟ أى ضرر فى هذا ؟

نكشاترا - انى لا اريد أن اكون ملكاً .

جونا فاتي - ولأى شىء انت فى هذا الانزعاج ؟

نكشاترا - اتمنى ان يعيش الملك عمراً مديداً ، وان اموت كما أنا ، أمير لا غير

جونافاتي — اذن فمت باسرع ما يمكن . هل تفهمت بشيء أغضبك ؟
 نكشاترا — اذن خبريني اي شيء تطالبين مني ؟
 جونافاتي — ان اللص الذي يريد ان يسلب التاج في انتظارك — ابعده
 عنا . هل نفهم ؟

نكشاترا — نعم . من هو هذا اللص
 جونافاتي — الفتى دروفا ! الست ترى ان حبه يتزايد في قلب الملك ، وكيف
 يتدرج في الاستعلاء ، حتى لقد يأتي يوم يشمل فيه الى التاج ؟
 نكشاترا — نعم . لقد فكرت في هذا الامر كثيراً . لقد رأيت أخى في
 مبادلة يضع التاج على رأس الفتى .
 جونافاتي — إن اللعب بالتاج لعب خطر . فإذا لم تبعه اللاعب ، فانه سوف
 يلعب بك أيضاً .

نكشاترا — نعم اني لا أحب هذا .
 جونافاتي — ضح بك لذكر لكمة « قالى » . ألم تسمع بأن الآلهة متعطشة للدماء .
 نكشاترا — ولكن ؟ أيتها الاخت . ليس هذا من شأني .
 جونافاتي — أيها الأبله . هل يمكن أن تتصور بأنك في أمن مبادات الأم
 في نهبتها متلفظة عاطشة ؟ يجب أن تنعم بالدماء . نج حياتك اذا استطعت .
 نكشاترا — ولكننا نطلب دماً ملكياً .

جونافاتي — من ذا الذي أخبرك بهذا ؟
 نكشاترا — عرفته من شخص ترسل اليه الآلهة بأحلامها .
 جونافاتي — إذن يجب أن يموت هذا الفتى فداء للملك . إن دمه أغلى على
 أخيك من نفسه . ويمكن أن ينجو الملك بأن يدفع فدية هي أئمن عليه من حياته .
 نكشاترا — فهمت !

جونافاتي — إذن فلا تضع وقتاً ، اتبعه ، انه لم يذهب بعيد ، ولكن تذكر
 ضحه باسمي
 نكشاترا — سأفعل .

جونافاتي — ان قربانات الملكة قد ردت ثانية من باب معبد الام ، أسألها أن تغفر لي .
(يخرج جان)

*

* *

يدخل جاسنج

جاسنج — أيتها الام ! هل بقي من شيء صغير أم كبير قد سلم في نزوة تخريبك ؟ إذا
كان قد بقي لديك اضعف شعاع من اقباسك المضيئة ينير نجماً قصياً في أبعاد
الوجود ، فاجيبي ندائي ، ولو ان صوتي هافت ضعيف
ناديني ! قولي ! « يا بني ها أنذا »

كلا ! انها ليست في مكان . انها غير موجودة . انها عدم . ولكن إرحمني ضعف
جاسنج واشفقي عليه . أنت يأتيها الوهم الجسم أنقلي حقيقة من اجله . هل انت
باطل صرف ، وعدم مطلق ، حتى ليعجز حي عن أن يبعث أقل أثر من الحياة
في فراغك الذي هو لا شيء أصلاً ؟

أيها المجنون ! من قلب كأس حياتك لتفرغ كل ما فيه ! — أمن أجل
هذا الفراغ الذي لا يرد سؤالاً ولا يجير جواباً . ألهذا الفراغ ، الذي لا حقيقة له
ولا رحمة فيه ، ولا حباً أبوياً يهديه ؟

(تدخل أبارنا)

أبارنا ! لقد أقصوك عن المعبد وهكذا تعودين اليه مرة ثانية . لانك حق
كائن ، والحق لا يمكن أن يستأصل . إننا نقدر الباطل في معبدنا ، ونعبد
خاضعين منيبين ، ومع كل هذا فان الام لن تكون هنالك . لا تفارقيني يا أبارنا
اجلسي الى جانبي . لماذا أنت حزينة ؟ يا حبة قلبي ! من فقدت إلهاً لم يصبح
إلهاً بعد ؟ وهل لنا من حاجة بالله في هذه الدنيا الصغيرة ؟ لنكن بلا آلهة ،
ولبثت على هذا بلا خوف ! وليقترب بعضنا من بعض . انهم يريدون دمائنا
لهذا هبطوا الى تراب هذه الارض ، تاركين أبهة السماء وعظمتها . ليس لديهم من
أناسي في ملكوت سلاواتهم ، كلا ولا مخلوقات ، تقابلي الآلام والتعذيب . كلا
ابنتي ، ليس لنا آلهة .

أبارنا .. إذن فاترك هذا الميكمل وأتبعنى حيث أذهب .
 جاسنج - أأترك هذا المعبود ؟ نعم . سأذهب بعيداً ، واأسفاه يا أبارنا ! إنه يجب
 ان أذهب بعيداً ، يجب أن أفارق المكان ، ومع هذا فاني لا أستطيع أن أذهب
 قبل أن أقوم بوفاء آخر ما على من دين ولكن . فليكن ذلك ، اقتربنى
 منى يا حبيبتي ، اسرى شيئاً في أذنى يغمر هذه الحياة بالبلذل والنعماء ، بل يغمر
 الموت نفسه .

أبارنا - إن السكيات لا تتدفق عند ما يكون القلب . لآناً الى الحافة
 جاسنج - فاسندى رأسك الى صدرى إذن . دعى سكوننا الاذنهاتين ، الحياة والموت ،
 يلتقيان . ولكن لا أريد مزيداً من هذا ،

أبارنا - لا تكن قاسياً ، ألا يمكن أن تشعر بما قاسيت ؟
 جاسنج - أنا قاس ؟ أهذه آخر كلمة اسمها منك ؟ قاس . كهذه الكتلة
 الصخرية التى ندعوها إلهتنا . يا أبارنا ، يا حبيبتي ؛ لو أنك كنت آلهة إذن
 لعلت أى نار تحرق قلبى ، ولكن أنت إلهتى ، هل تعرفين كيف وصل هذا
 الى على ؟

أبارنا - خبرنى
 جاسنج - إنك إنما تحضرين الى محبك كل برهة كما تحضر الام الى طفلها ، ان
 الآله يجب أن يكون تضحية صرفة ، ليصب عناصر حياته فى معين كل الخلوقات
 أبارنا - جاسنج ! تعال الى . دعنا نفارق هذا المعبد ونذهب بعيداً مترافقين
 جاسنج - نجينى يا أبارنا ، إرحمى واتركينى . ليس لى فى هذه الحياة سوى غرض
 واحد فلا تقتصبى من قلبى ذلك المكان الذى حل فيه هذا الغرض
 (يفر خارجاً)

أبارنا - لقد تأملت ثم تأملت ، ذهبت قوتى ، تفطر قلبى
 (يخرج)

يدخل راغوباتى والامير نكشاترا

راغوباتى - أيها الامير أين خبأت الفتى !

نكشاترا - إنه في الحجرة ، حيث توجد آنية العبادة . لقد حاول أن ينام . أظن اننى عاجز عن ان أحتمل هذا ، عند ما أراه مستيقظاً ثانية

راغوباتى - كان جاسنج فى سنه عندما حضر الى ، وأتذكر كم بكى حتى نام عند قدمى الآلهة ، ودمصباح المعبد يرسل نوراً ضعيفاً على وجه المبلل بالدموع ، وكانت ليله عاصفة كهذه الليله تماماً

نكشاترا - لا تمهل ياأبت ، أريد أن أنهى كل أمر وهو نائم ، ان صراخه يخرق قلبى كمدية محدودة الغراب .

راغوباتى - سوف أسقيه منوماً اذا استيقظ

نكشاترا - ان الملك سوف يعرف الحقيقة ، اذا لم تسرع ، لانه يفرغ في الليل من مشاغل الملك ليشغل نفسه بهذا الفتى

راغوباتى - كن أكثر ثقة في الآلهة ، فان الفريسة الآن بين يديها ، ولن تهلت

نكشاترا - ولكن شندبال يقظ وعلى حذر

راغوباتى - ليس هو بأكثر يقظة من أمنا

نكشاترا - ظننت انى رأيت شبحاً مرقباً منا

راغوباتى : انه شبح مخاوفك

نكشاترا - ألسنا نسمع صوت استغاثه ؟

راغوباتى - إن هذا صوت قلبك . أقص عنك المخاوف أيها الامير . دعنا نشرب

هذا الخمر في أوانه . ان الغرض الذى يرمى اليه الانسان ، ليظل ضحياً عظيماً مخيفاً

مادام كامنًا بين طيات العقل لم يخرج الى حيز الوجود . أما بعد تنفيذه فانه يلوح

صغيراً ضئيلاً . ان البخار انما يكون ذا كنه اللون منتشراً في الفضاء يغشاه . فاذا

استحال ماء ، أصبح قطرات ضئيلة شفافه .

أيها الامير : إن الامر كلاً شئ . إنه لا يستغرق لحظة واحدة . لا أكثر

مما يلزم لاطفاء قنديل . إن ضوء هذه الحياة إنما ينطفىء في طرفه عين ، كالبرق

إذ يترآى فى لبله عاصفة من لىالى الصيف ، ولكنه يترك فى قلب الملك عاصفة
منقضة تبلغ الى اعماقه

ولكن لماذا أراك أيها الأمير صامتاً باهتاً ؟

نكشأترا - أظن أنه من الحكمة أن لاندھب الى هذا الحد من الخرق . فلنترك
هذا العمل الى الليلة القادمة :

راغوباتى - ان هذه الليلة مثل القادمة ، وربما كانت أنسب

نكشأترا - اصغ الى وقع الاقدام !!!

راغوباتى - لست أسمع شيئاً

نكشأترا - أنظر هنالك ! أنظر الخوض

راغوباتى - لقد أتى الملك ! اخشى أن نكون قد توانينا كثيراً

يدخل الملك ومعه بطانة

الملك - اقْبِضُوا عليها : (الى راغوباتى) هل عندك شىء نقوله

راغوباتى - كلا

الملك - هل تعترف بجريمتك ؟

راغوباتى - جريمة ! نعم ! إنما جريمتى فى ان ضعفى قد أخرنى عن أن أقوم بخدمة
الام . ان هذا العقاب تنزله بى الآلهة . إنك لست بشىء سوى آلة فى يدها

غوفندا - تنفيذاً لشرائعى سوف يذهب بك جنودى الى المنفى يا راغوباتى ، حيث
تعمى ثمانية أعوام من حياتك

راغوباتى - أيها الملك إنى لم أبحث أمام مخلوق فان من قبل فى حياتى . إنى برهمنى .
ان قصرك أضال من قصرى وأدنى مكانة . غير انى أفزع اليك ، بكل خضوع
أن تؤجل نفيى يوماً واحداً

غوفندا - لقد أعطيت سؤالك

راغوباتى - (باستهزاء) أنت ملك الملوك . وما من شىء فى هذه الدنيا يتساوى
مع جلال قدرك ، سوى رحمة قلبك . بينما أجد نفسى كدودة حقيرة تدب

(يخرج)

فوق الثرى

غوفندا - اعترف بجريمتك يا نكشاترا !
 نكشاترا - انى مجرم يامولاى . ولا أستطيع أن أطلب عفوك
 غوفندا - إني اعرف انك طيب القلب أيها الأمير . فخبّرني من ذا الذى
 زودك بهذه النصيحة الفاسدة
 نكشاترا - لست بذاكر أى اسم أيها الملك . إن الجريمة جريمتى وحدى . ولقد
 عفوت عن أخيك الاحق أكثر من مرة ، وانه ليقف أمامك الآن يطلب عفوك
 مرة أخرى

غوفندا - نكشاترا ! قف واترك قدمي ، ان الماضى ما زال أشد تقيدا بالشرائع
 من اسيره الذى يقف بين يديه في موقف الاتهام
 البعثانة - تذكر يامولاى انه أخاك واعف عنه
 غوفندا - يجب أن أتذكر أنى ملك . سيظل نكشاترا منفيا ثمانية أعوام في ذلك
 القصر الذى شيدته على ضفاف النهر المقدس خارج حدود تريبور

(ويمسك يدي نكشاترا)
 إن هذا العقاب لا ينزل بك وحدك يا أخى ، بل ينزل بى أيضاً . وانه لأشد
 وقعاً على لائى لا أستطيع أن أشاركك فيه بجسمى . إن الفراغ الذى سوف تتركه
 في قصرى تحز ذكراده في قلبي كل يوم ، وعسى أن تكون الآلهة أكثر حزنوا عليك
 في منفاك ، منى عليك هنا بين أحضانى .

(يخرجون)

* * *

يدخل راغوباتى وجاسنج
 راغوباتى - إن كبريائى تتمرغ في أقدر حماة . لقد دنست برهميتى . إني لم
 أعد أستاذك بعد يا بنى . بالأمس كان لى الحق في أن أوجه إليك بأوامرى .
 واليوم أمت اليك أن تساعدنى . إن ذلك الضوء الذى كان ينير قلبي قد انطفأ .
 ذلك الضوء الذى كان يعطينى الحق في مقاومة سلطة الملك . إن الأنوار الارضية
 يمكن إشعالها مرة بعد أخرى ، أما النجم إذا فقد ضوءه ، فقد انقرض الى أبد

الا بدین . إن الأیام التي تقضیها فی هذه الحیاة ، ذرة من هباء . إنها لا تقل أعطیات الاله . ومع هذا فقد طلبت من انلك أن یهبنی يوماً واحداً من أيامها جائیاً علی ركبتي . ولسوف لا أترك هذا الیوم يمر عبثاً وینذهب سدى . فلا تخضب جبین هذا الیوم بدم الملك القانی قبل أن تمر ساعاته .

لماذا لا تتكلم ینی ؟ ألیس لی الحق فی أن أطلب طاعتك وأنا فی مكان الأب منك ، ولو أنى فقدت الحق فی أن أكون أستاذك ؟ أنا الذی لی علیك ما للآباء علی أبنائهم . ألم أنشك یتیمًا فقیراً ؟

إن الرجل الذی یتعجدي الحب لا تمس المتسولين . ألا تزال صامتاً ینی ؟ إذن فلا تجث أمامك علی ركبتي . أنت یامن كان أقصر من ساقی طولاً . عندما أخذته فی أحضانی .

جاسنج — یأبیت . لا نزد من وخراتك المئولة فی جوانب قلب كسیر . أما إذا كانت الآلهة عاطشة إلى دم ملكی ، فتنی سوف آتیها به قبل أن یحل ظلام اللیل . سأقوم بتأدیه كل دینی وأدفع ما علی . انتظر عدوتی ، فتنی سأرجع سریعاً .
(ینخرج) — عاصفة فی الخارج .

راخوبانی — لقد استیقظت أخیراً . لقد استیقظت الخلیفة المرعبة . ان لعناتها تسیر فی ممرات القرية صاحبة غاضبة . إن المربعیات الجماعات یهززن أغصان الشجرة الدنیویة بكل ما لیهن من قوة وبطش ، حتی لتكاد النجوم أن تصعق الأرض انقضاءً .

أیتها الأم . لماذا تتركین أبنائك تائهین فی فلات الشك ممرغین فی حماة الإحتقار طویلاً ؟ لا تتركی خادمك الضعیف أن یرفع سیفك فی یده . ارفعی ساعدك انقوی لیعمل عملیه وینفذ الارادة القدسیة .
إنی أسمع وقع أقدام .

* * *

تدخل أبارنا

أبارنا — أين جاسنج ؟

راغوباتي — إذهبي بعيداً أيتها الشؤم الجسم .

(تخرج أبارنا)

وماذا يكون العمل لو أن جاسنج لا يعود ثانية ؟ كلا . أنه لن ينقض عهده .
لك النصر أيتها العظيمة « قلى » . أنت يامن تمنحين الفخار والنجاح
لن يطلبه منك . ولكن ما العمل لو عاقه عائق ، ماذا يكون لو قبض عليه العسس
وأزهقوا روحه ؟

لك النصر يا إلهتنا اليقظة . يا أمنا القاهرة . لا تفقدينا الثقة بك ، ولا تجعلي
بسبب السخرية منك تنطبع على شفاه أعدائك .

أما إذا كان لزاماً أن يفقد أولادك كبرياءهم ، ويعدهوا ثقتهم بأمهم العظمى ،
وأن يحنوا رؤوسهم ذلة أمام الثأرين عليهم ، فمن ذا الذي يمد يده في هذه الدنيا
اليتيمة ليرفع أعلامك ، ويشيد بذكرك ؟

إني أسمع وقع أقدام . ولكن ! أهكذا سرياً ؟ أهو عائد بعد أن أتم غرضه ؟
كلا إن هذا غير ممكن . لماذا ، إن وقوع المعجزة لا يحتاج إلى زمان محدود .
أيتها السيدة المترتبة على هامة الزمان ، يامن تفزع عيننا بعقلك المحوك من
الجماع البشرية .

(يدخل جاسنج في سرعة)

جاسنج أين الدم .

جاسنج — إنه معي . إمنحني الحرية . دعني أقدمه بنفسى

(ويدخل الهيكل)

أأنت في حاجة إلى دم ملكي ، أيتها الأم العظمى . أنت يامن ترضعين
الدنيا وهي وعلى صدرك بلبان الحياة ؟ أنى من سلالة ملوك كشارتريا !!! لقد تربع
أسلافى فوق العروش ومنهم من شرع للناس وتحكم في رقابهم . إن في عروقي دما
ملكياً . خذيه إذن ، وردى عطشك إلى الأبد .

(يطمئن نفسه بمدية ويسقط صريعاً)

راغوباتي — جاسنج ! يالك من قاس . يالك من قليل الوفاء . لقد ارتكبت

أشنع الجرائم . إنث قتلت أباك . أعف عني يا جاسنج . دد ثانية الى قلبي ، فانك
كنزه وسلوته . اني لا أموت حيث مت .

* * *

تدخل أبارنا

أبارنا — ان هذا ليذهب عقلى ! أين جاسنج ؟ أين هو ؟
راغوباتى — يا أبارنا ، تقدمى يا بنتى . أدع جاسنج بكل ما أوتيت من قوة
الحب . أعيديه ثانية الى الحياة . خذيه لك ، واذهبى به بعيداً عني . ولكن
أعيدى اليه الحياة .

(تدخل أبارنا الى الهيكل وتسقط مغشياً عليها)

(راغوباتى ينطح أرض المعبد بمقدم رأسه)

— أعطينيه . رديه الى . أعيديه الى ثانية

(ويقف مخاطباً الصورة)

أنظروا كيف نقف هنالك ، تلك القطعة الصخرية الصماء العمياء الخرساء .
كل الدنيا الحزينة تبكي عند بابها . وأنبال القلوب تنمك محطة تموت قديمها
الحجريتين .

ردى على جاسنج كل هذا عبث . ان صرخاتنا المزعجة الحزينة
تمضى مع الريح تائهة فى خلاء اللا نهابة . فى ذلك الخلاء الذى نحاول أن نملأه
بأمثال هذه الأقانيم الصخرية .

لتذهب هذه الاحلام الفارغة الخاوية بعيداً عنا ، تلك الاحلام التى تستحجر
فتصير صخوراً ، ينوء باثقاله على كاهل الدنيا

(يلقى بالصورة الى الأرض ويمرّج إلى فناء المعبد)

* * *

تدخل جونافاتى

جونافاتى — لك النصر يا إلهتنا العظيمة . ولكن ! أين الآلهة ؟

راغوباتى — ليس هنا آلهة !

جونافاتي - أعدها ثانية يا أبت . لقد أحضرت اليها قرباناتي . لقد حضرت
أخيراً لاشبع جوعها ونهمتها بدم قلبي ؛ لتعرف أن الملكة صادقة الوعد ، باقية
على العهد .

إرحمني يا أبت وأعد الآلهة هذه الليلة . هذه الليلة فقط .
خبرني أين هي ؟

راغوباتي - إنها ليست في مكان ! لا في العلاء ، ولا في الحضيض .

جونافاتي - ألم تكن الآلهة هنا في المعبد ؟

راغوباتي - آلهة ! إذا كان في أطراف الدنيا آلهة حقاً وصدقاً ، فهل في

مستطاعها أن ترتكب كل هذه الموبقات لتلطخ إسمها بالعار .

جونافاتي - لا تؤذني وتزيد ألي . أصدقني . ألا يوجد من آلهة ؟

راغوباتي - كلا . لا يوجد .

جونافاتي - إذن فمن كان هنا ؟

راغوباتي - لا شيء . لا شيء .

(تخرج أبارنا من الهيكل)

أبارنا - يا أبت !

راغوباتي - يا بني العزيزة ! أتقولين يا أبت ؟ هل قلت هذا ؟ أتوبخينني

به ؟ هل خلف لي إبنی الذي قتلته الآن بيدي الآثمة هذا النداء الشهى وراءه

ممثلاً في نبرات صوتك الحزينة ؟

أبارنا - يا أبت ؟ أترك هذا المعبد . لنذهب بعيداً عن هنا .

*
*
*

يدخل الملك

غوفندا - أين الآلهة ؟

راغوباتي - الآلهة ليست في مكان !

غوفندا - ولكن دم من هذا ؟

راغوباتى - دم جاسنج أيها الملك ؟ جاسنج الذى أحبك وأخلص اليك .
قد قتل نفسه .

غوفندا - قتل نفسه . ولماذا ؟

راغوباتى - ليقتل الاوهام ، التى تمتص دم الحياة الانسانية .
غوفندا - إنه لعظيم خالده ! لقد غزى الموت وأذله . فله تحياتى وعليه حزنى
جونافاتى - أيها الملك !

غوفندا - لبيك يا معبودى !

جونافاتى - إن الآلهة لم تعد كئنتة بهد .

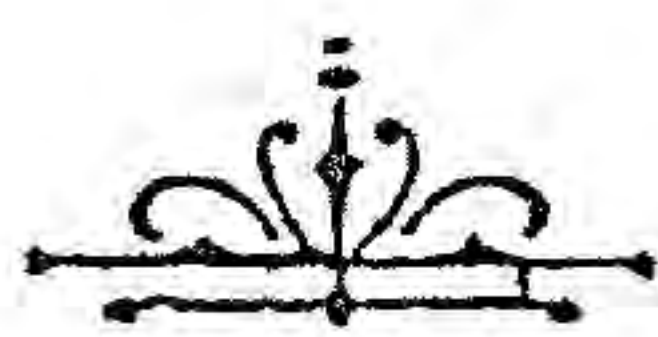
غوفندا - لقد فجرت هيكلها الصغرى ، وحلت ثانية فى قلب المرأة ،
أبارنا - تعال بعيداً .

راغوباتى - تعال يا بنيتى . تعال يا أمى . لقد وجدتلك . أنت آخر ما بذل

جاسنج ونهاية عطاياه ما

(ويخرجون فى خشوع)

برقين - ١٥ يناير سنه ١٩٢٧



تأملات في الأدب والحياة

من الأقوال المأثورة عن الكردينال نيومان : انك اذا لم تحدد الاشياء تحديدا تاما ، كانت المناقشات إما بلا نتيجة وإما بلا فائدة . ولا ريبه مطلقا في صحة هذا القول . على أن النفي يحملنا على الكلام فيه عدم تحديدنا لشيء من الاشياء التي ندعى بان نهضتنا الحديثة في مصر خاصة ، وفي الشرق عامة ، قد قامت عليها . على أني لا انكر أن هنالك من المعقولات ما لا تتفق عليها التعاريف والتحديدات المختلفة . فامرك كيف يمكن أن نحدد الوطنية مثلا ، بل كيف نحدد القومية ، وهي من أكثر الاشياء جريا على الاسنة والاقلام ، والناس مختلفون فيها اشد الاختلاف ؟ على أننا والحق يقال لم نفهم من الوطنية الا انها « ما يتفق مع المصالح الذاتية » . هذا هو القول الوطني في الشرق ، أو على الأقل الفكرة السائدة فيها .

غير أننا اذا التمسنا عذرا عن تحديد المعقولات فما عذرنا في عدم تحديد الاشياء المادية . فالعلم والادب والفن ، ثلاثة اشياء اقتبسناها حديثا عن أوروبا محدودة تحديدا تاما . ولا شك في أن البعض سوف يقولون باننا لم نقتبس هذه الاشياء بالذات ، ولكننا اقتبسنا صورها الحديثة ، أما أصولها فنحن واضعوها على أن هذا القول ليس ببعيد عن الصحة كثيرا وأن كان غير صحيح تماما . فإن اقتباسنا للعلم والفن والادب عن الغرب حديث فعلا ، اذا اعتبرنا الصور القديمة التي نقلها اليها الزمان عن اسلافنا من هذه الاشياء . فاننا اذا قلنا باننا اقتبسناها حديثا ، فانما نغني أننا أخذناها محدودة على حسب كفايات العقل الانساني . وذلك ما لم يصل اليه الشرق في سالف ازمائه

غير ان نزعاتنا القديمة تغابت على الصورة الحديثة التي حددت هذه الكفايات العقلية فتخالطت تخالطا شنيعا . ولا جرم أننا لانستطيع أن نخطوا الى الامام خطا واسعة ثابتة قبل أن نحدد المعقولات على مقتضى كفايات العقل الانساني تحديدا

ينير السبيل ويقضى على الفوضى السائدة اليوم في نواحي الحياة في الشرق .

*
*
*

يخطئ كثير من الكتاب ، بل يخلطون بين مايسمونه مدنية العرب ، ومدنية الاسلام . والحقيقة أنه لا يوجد شيء يقال له المدنية العربية . واذا قلنا تجاوزا «مدنية عربية» هوينا بمعقول المدنية أو الحضارة الى تلك الصور الغريبة التي كنت تراها في بلاد العرب أيام الجاهلية . قبائل رحل لا تعرف طريقا للحياة الا الغزو والحروب المستمرة . ولست ادري كيف تكون مدنية تلك التي لم تستقر لحياة فيها على قاعدة أو قانون ، اللهم الا الارادة المطلقة من كل القيود الاولى التي تقوم عليها أبسط صور المدنية

والحقيقة ان الاسلام لم يكن دينا فقط بل كان دينا ومدنية وحكومة . فالمدنية التي نخطئ ونسميها مدنية عربية هي لدى الواقع مدنية اسلامية ، استمدت من مختلف صور المدنيات التي احتك بها الاسلام وقام على انقاضها . على مدنية الفرس والبيزنطيين والغوط في اسبانيا . والغريب في امر الاسلام انه قضى على الصور المدنية القديمة قضاء تاما واحل محلها مدنيته المنتحلة ، فصنع الفرس والمصريين والبيزنطيين واليهود الذين دخلوا حوزته بمدنية واحدة وصورة واحدة . لا تزال حتى اليوم الطابع الخاص للمسلمين في انحاء الارض . وماقولك في ان الهندي والصومالي والجاوي والصيني والبربر والشوام ، على اختلاف صورهم الخارجية ، لهم طابع مدني واحد وهو طابع الاسلام اذا كانوا مسلمين

وطابع آخر مختلف عن هذا تمام الاختلاف اذا كانوا غير مسلمين

والحقيقة ان التوراة اذا كانت قد نجحت في الاحتفاظ بالطابع القديم الذي تصف به اليهود ، فان القرآن قد نجح بدوره في خلق مدنية لانظن انها نزول من سطح الارض على مدى الازمان

*
*
*

وماقولك بمن يقولون «الفلسفة العربية» ؟ هؤلاء أيضا مخطئون
اذا حق للانجليزى ان يقول الفلسفة الانجليزية ، وللالماني ان يقول الفلسفة

الالمانية، وللفرنسوى ان يقول الفلسفة الفرنسية، صح لنا ان نقول فلسفة عربية. والسبب في هذا أن صور الفلسفة ومذاهبها ليست وقفا على شعب دون شعب أو فريق دون فريق. إنها مشاع بين الناس، بل تكاد تكون أول ما يطبق عليه مذهب الشيوعية بنجاح عظيم

اعتقد، واظن انى محق، ان القول بان هناك فلاسفة عرب، اقرب الى الفهم من القول بان هناك فلسفة عربية. وهذا ينطبق على كل الامم. فالفكرة الفلسفية الواحدة قد تتفرع الى عدة مذاهب وقد يبنى عليها مدرسة جديدة أو عدة مدارس. ومن الجائز أن تكون مستمدة في الاصل من اليونان أو اليهود أو الصينيين أو المصريين، نتمقوم عليها مذاهب في أوروبا، وقد ترجع في اصلها الى أوروبا، فيقوم عليها مذهب في الشرق وهذا اقرب صور الشيوعية لما يعنى الشيوعيون على اننى لا ارى مانعاً علمياً من ان نجري على استعمال الاصطلاح اذا حدد هذا التحديد وعرف على هذا النحو. اما تحديد الفلسفة بانها عربية او شامية او انجليزية او صينية او غير ذلك، تحديد تخصيص لا تعميم، ففيه كثير مما ياباه العلم ولا ترضى به الحقيقة

*
* *

اhtar كثيرا فيما اسمى به اللزوميات وسقط الزند، لابي العلا المصرى. هل اسمى الكتابين أدبا أم فلسفة؟ واhtar ايضا في تحديد الصورة التي طبع بها ابي العلاء نفسه. فبينما تراه شديد الايمان قاسى العقيدة تراه في موطن آخر كبير الشك الى حد الفسوق تقريبا. وبينما تراه مؤمنا تقع عليه وقد نهشت اللأدرية كل نواحي دماغه الكبير

على ان هذا الطابع يؤثر كثيرا في تحديد الصفة التي تدمع بها كتبه التي وصلت الينا. وليس هذا هو السبب الاوحد فيما تجد من حيرة. فان وضع مبادئه الفلسفية في صورة شعرية سبب آخر لا يجعل تحديد فلسفته او مرآية الفكرية سهلا مستطاعا. ولو كان المعرى قد كتب فلسفته التي بثها في أشعاره التي وصلت الينا

نثرا لظهر لنا في أقبح صور التناقض واشنع ألوان التضارب الفكرى . ولكن
الشعريعى على كثير مما في فلسفته من النقائص ،

وبعد هذا ، هل نستطيع ن أندعو أشعاره تأملات ، كتأملات ديكرت
أو مارك أوريل أنطونين ؟ كلا - فان تأملات ديكرت كانت أساس مدرسة
حديثة تحدث تحديداً تاما . وتأملات انطونين تكاد تكون مثال الفكرة
الرواقية التي بدأها الفيلسوف زينو . ولو أنك أردت أن تحدد بحق شخصية أبي
الملاء الفلسفية تحديداً صحيحاً على اعتبار انه فيلسوف ، كما نقول تفریطاً ، لألقناه
بمشرة مدارس فلسفيه تجاوزاً ، ولاقتصصنا أثره الى مالا يقل عن عشرين
فيلسوف من القدماء !



من أكبر ما تقوم عليه النهضة الحقيقية استعماقنا في درس التاريخ . وحتى
الآن لم نبدأ بذلك ، فكأننا نبني نهضتنا على أسس لا تجمع بينها جامعة واحدة .
وهذه الجامعة هي ولا شك درس التاريخ .

على أننا لم نهمل فقط درس التاريخ ، بل أننا لم نحدد بعد معناه والمكان
الذى يشغله في كفايات العقل الانسانى . هل التاريخ علم ؟ ام هو فن ؟ ام هو
مزيج من كليهما ام ، هو يتخذ الاسلوب العلمى البحت حيناً والفنى حيناً آخر
من غير مزج ولا ادماج ؟

على ان جهد ما وصلنا اليه حتى اليوم في درس التاريخ لا يتعدى قصص الحوادث
وسردها . بل لم نغن الا بتاريخ التهديم دون تاريخ البناء . عرفنا تاريخ الوقائع
الحرية والمحاربين . ولكن اين تاريخ المدنية ، واين تاريخ الجماعات البشرية
واين تاريخ الادب والفن ؟ الى غير ذلك .

ليس لدينا شيء من هذا بل ليس لدينا من التاريخ الا الاسم . ومع هذا
نقول أننا في نهضة واتنا ناهضون . كذلك يجرى البعض في قياس معيار النهضة
بكثرة ما يخرج المطابع من مطبوعات والجرائد من ورقات . ولكن القيمة الحقيقية

لا تنحصر في الكم بل في الكيف ، على حد استعمال المناطقة . أى أنها لا تنحصر في الحجم بل في الصفة . وهل نستطيع أن نقول إن «الصفة» التى اتصفت بها المؤلفات والمطبوعات الحديثة تدل على نهوض صحيح قائم على أساليب جديدة ؟ أخشى أن يكون الجواب سلباً

*
* *

من الجائز ، والأصح ان نقول انه ليس من المستحيل ، أن يبارى الشرقيون الغربيين في ظواهر المدنية ، إما في حقيقتها فان فكرة الجواز ذاتها قد تكون تطرفاً في القول ، وتعميماً لا مبرر له .

تقوم المدنية في الغرب على معقولات قد ندرناها تماماً ، ولكن يتعذر علينا أن نطبقها تطبيقاً صحيحاً . نصرف هذا الحكم على الحالة القائمة اليوم والتي سوف نظل قائمة ازماناً مديدة . ولكن من ذا الذى يستطيع ان يتكهن بما يجبا المستقبل البعيد ! لعل في طبائعنا متسعاً لتطبيق العمليات بقدر ما في اذهاننا من قدرة على ادراك النظريات . اما اذا صح هذا فلا شك في اننا سننهض ، وأتينا سنترك اثراً خالداً في تاريخ العالم ، ونعيد المجد القديم بصورة جديدة .

*
* *

كتبت لاستاذى المرحوم الدكتور صروف مرة ضمن خطاب أنى مكب على قراءة كتاب حديث في حياة «سيزار بورجيا» المشهور ، فكان جوابه أنه لا يهتم ببورجيا ، وماذا ينقص الانسان اذا لم يعرف بورجيا هذا في حياته ، بل ولم يمر اسمه على اذنه ؟

والحقيقة ان هذا الجواب قد أوقعنى في سلسلة طويلة من التأملات . ترى لماذا يهتم إذن المؤلف بوضع كتابه هذا ويجهد نفسه في جمع أدلته واسانيدته مما لا يقل عن خمسين كتاباً ؟ وإذا كان ما قال الاستاذ صحيحاً ، فهل يوافقه الكثيرون ممن يقرؤون التراجم على رأيه ؟ وإذا كان بورجيا هذا على شهرته التاريخية وانفراده بشخصية فذة لا يستحق الاهتمام ، فمن أى شىء إذن يتكون تاريخ الأمم ؟

غير أنى اهتديت الى الجواب . فلاستاذ نشأ نشأة علمية . ومن ينشأ هذه
النشأة لا يهتم بسبزار بوجيا ولا بكل بوجيا في الارض . كذلك خطر الى
أن أهل أوروبا قد فرغوا مما تحتاج اليه صورة المعرفة لتكون تامة على وجه
التقريب ، واهم أن يبحثوا ويعيدوا البحث في أشياء تلوح لنا تافهة ، لانتا لم نبلغ
من المعرفة صورة ولو ضئيلة . أما اذا بلغنا مبلغهم فعندها نهتم بما يهتمون به ونجد
من يهتم به .

والحقيقة أن سوق العلم والادب في الشرق قائمة . ولكن على المعارضين .
أما الطالبون للبضاعة فإن هم ؟ فاش عنهم ولو بمصباح ديوجينيس .

....

الحياة مجموعة متناقضات تكون كلا واحداً فيه ألفة واتساق . وقد نجد في
الحياة متناقضات ظاهرة جليلة وأخرى خفية عميقة . أما المتناقضات الظاهرة بل
اجلى هذه المتناقضات مسألة الموت والحياة . فإن هذه السلسلة التي لا تنتهى مكونة
من متناقضين لا يقوم احدهما إلا بالآخر . اما المتناقضات الخفية العميقة
فتلك التي تقع عليها من اعق اغوار النفس . حب وكرهية . رغبة ورهبة . ظلم وعدل
إلى آخر ما هنالك من تلك الاشياء الوجدانية التي تترك آثارها البارزة في
الحياة العملية .

فهل يمكن أن يكون التناقض هو القاعدة والاطراد هو الشذوذ ؟ وأى شىء
في الدنيا ليس له تقيضه ، وأى كائن في هذه الحياة ليس له ضده ومناظره ؟
إننا انما نعيش في عالم من التناقض ، بل في عالم التناقض قاعدته . أما السبب
الذى يتعب الانسان ويكده وينهب به في هذه الحياة مذاهب العالم الحسى
والنفسى فراجع الى أنه يريد أن يحدث اطراداً وتناسقاً في جو لا وجود فيه
الا للمناقضات

فيلار بونسي

الحيوان الخالد

الأميبا (١)

ان من غرائب الطبيعة أن يكون أدنى الحيوانات تركيباً أخلاها وأبقاها . ولعل هذا ناتجاً عن بساطة تركيبه . فالأميبا حيوان ميكروسكوبى مؤلف من خلية واحدة ، ليس له شكل محدود يمكن وصفه به ، لأنه يتخذ أشكالاً متعددة ، ويعيش غالباً فى الماء العذب والمياه الراكدّة والمستنقعات فى القاع على سطح الطين والحجارة والأعشاب المائية . وقليل منه يعيش فى الأماكن الرطبة . كما ان بعضاً منه يعيش متطفلاً داخل جسم الحيوان والانسان . وقد غالى بعضهم ، فعد منه ستين نوعاً ، وآخرون أربعة فقط . والحقيقة أن عدد الأنواع هو بين هذين الرقمين .

أما مستكشف هذا الحيوان فهو العالم الألمانى « ريزيل فون روزينهوف » Roesel Von Rosenhof وقد وصفه وصفاً دقيقاً سنة (١٧٥٥) أيده من بعده العلماء .

(١) الأميبا حيوان كامل أو تام

الأميبا حيوان تام التركيب ، حجمه نحو ربع أو خمس المليمتر تقريباً ينساح فى الماء أو على وجه الطين والحجارة بحركة أشبه بدحرجة الكرة أو كما يصفها الأستاذ واطسون أنها « حركة كحركة عربات التانكس » . وقد وصف حركته أيضاً الأستاذ (يينج) Yennig الأمريكى فقال : « ان حركته تشبه التدحرج . فيدور سطح جسمه كله ، فيصير الأعلى أسفلاً ، والأسفل أعلى مداولة وهكذا على التوالى ، ويشاهد ذلك فى الأجزاء الصغيرة الغذائية الموجودة داخل جسمها . فاتها تتحرك وتنتقل بحركة الجسم فتكون تارة فى مقدم جسم الحيوان وتدور معه . وبحركة أخرى تصير فى مؤخره . وهكذا على التوالى . فترى أن جزءاً صغيراً من جسمها قد يدور جملة مرات تبعاً لحركة الحيوان .

(١) من كتاب التاريخ الطبيعى للأستاذ اصفهانى تحت الطبع .

٢ - آلات الحركة .

يتحرك الأميبا بكل جسمه وذلك بإرسال نتوات عن غشائه الخارجى ترسل فيه البروتوبلازما الداخلية فيملؤها قليلا قليلا حتى يكون الحيوان أفرغ كل مادته السائلة من ذلك النتوء . وإذا ذاك يتحرك الحيوان تبعاً لحركة البروتوبلازما من الداخل . ولأن وظيفة هذه النتوات فى تأدية الحركة تشبه الاقدام فى الحيوانات الراقية سماها العلماء باسم « الاقدام الكاذبة » Psuedopoda - أما السبب فى حركة الأميبا فيقولون بأنه راجع الى حركة البروتوبلازما نفسها ، باعتبار أن الحركة المستمرة هي انخاصية الأساسية لها .

٣ - التغذية

يتغذى حيوان الأميبا بكائنات نباتية ميكروسكوبية أهمها نوع الدياتوم . وهو نبات ميكروسكوبى يتكون من خلية واحدة فقط . وكيفية التغذية هي أن الحيوان عندما يشعر باقتراب الغذاء منه ، يمد قدمين كاذبتين من اقدامه ويحيط به ، ثم يدخله فى جسمه بطريقة لا تزال مجهولة والغذاء . يدخل جسم الحيوان مع قليل من الماء وعندئذ يحيط به فراغ من جسمه يسمى « بالتجويف الغذائى » وهذا التجويف يشبه فقاعة الصابون ، ويحتوى فضلاً عن الغذاء والماء الخارجى على جزء من البروتوبلازما الداخلى بحيثل أن يفرز عصارة هضمية لهضم الغذاء وتمثيله وقد حاول بعض العلماء أن يدخل فى جسم الأميبا مواداً غذائية كالزجاج مثلاً . فأفلحوا فى ذلك بعض الشيء . إلا أن الحيوان كان يترك المواد غير الغذائية ويمر فوقها أو بجوارها تماماً من غير أن يأبه لها .

وقد رأى بعضهم أن الأميبا تتغذى أحياناً بالمواد الحيوانية ، وشاهد مرة أن أميبا كبيرة الحجم قد حاولت اقتناص أميبا صغيرة مرتين ، وفى كلاهما تفلت هذه من الاقتناص . غير أن هذا شذوذاً فى الطبيعة وليس قاعدة .

٤ - الافراز والتنفس

يفرز الحيوان بكل جسمه وعلى الاخص بواسطة فجوة كبيرة فى جسمه تسمى الفجوة المتحركة أو المنقبضة . وهي فجوة تشبه فقاعة الصابون وتمتلى بعصارة

مائية يظن أنها مواد مفرزة . ثم تضغط عليها مادة البروتوبلاسم المحيطة بها فتنفجر فجأة وتفرغ محتوية في الماء المحيط بها . وتعد ثانية للظهور في بضع ثوان . أما الذي حدا بأهل البحث أن يعتبروا الفجوة المنقبضة جهازاً افرازياً فبولا أنهم وجدوا أن السائل الموجود بها يحتوي على حامض بولى . أما التنفس فمن المحتمل أن يكون بكل جسم الحيوان . وكذلك يحتمل أن الفجوة المنقبضة تساعد على ذلك بسبب الماء الداخلى والخارجى الذى يحوى أوكسجيناً .

٥ - التكاثر .

عند ما تكون الحالات الخارجية ضارة بحياة الحيوان ومفاعة له عن نادية وظائفه الحيوية كقلة الماء مثلاً ، يحصل أن يتجمد الغشاء الخارجى بواسطة مادة تفرزها الأميبا .

ويتقلص الحيوان ويوقف كل وظائفه فلا حركة ولا أدنى علامة على وجود الحياة فيه ويظل على هذه الحالة الشبيهة بالموت حتى تتبدل الأحوال وتعود الأمور الموافقة لحياته كسابق عهدها فيتنفس ثانية ويستأنف حياته من جديد .

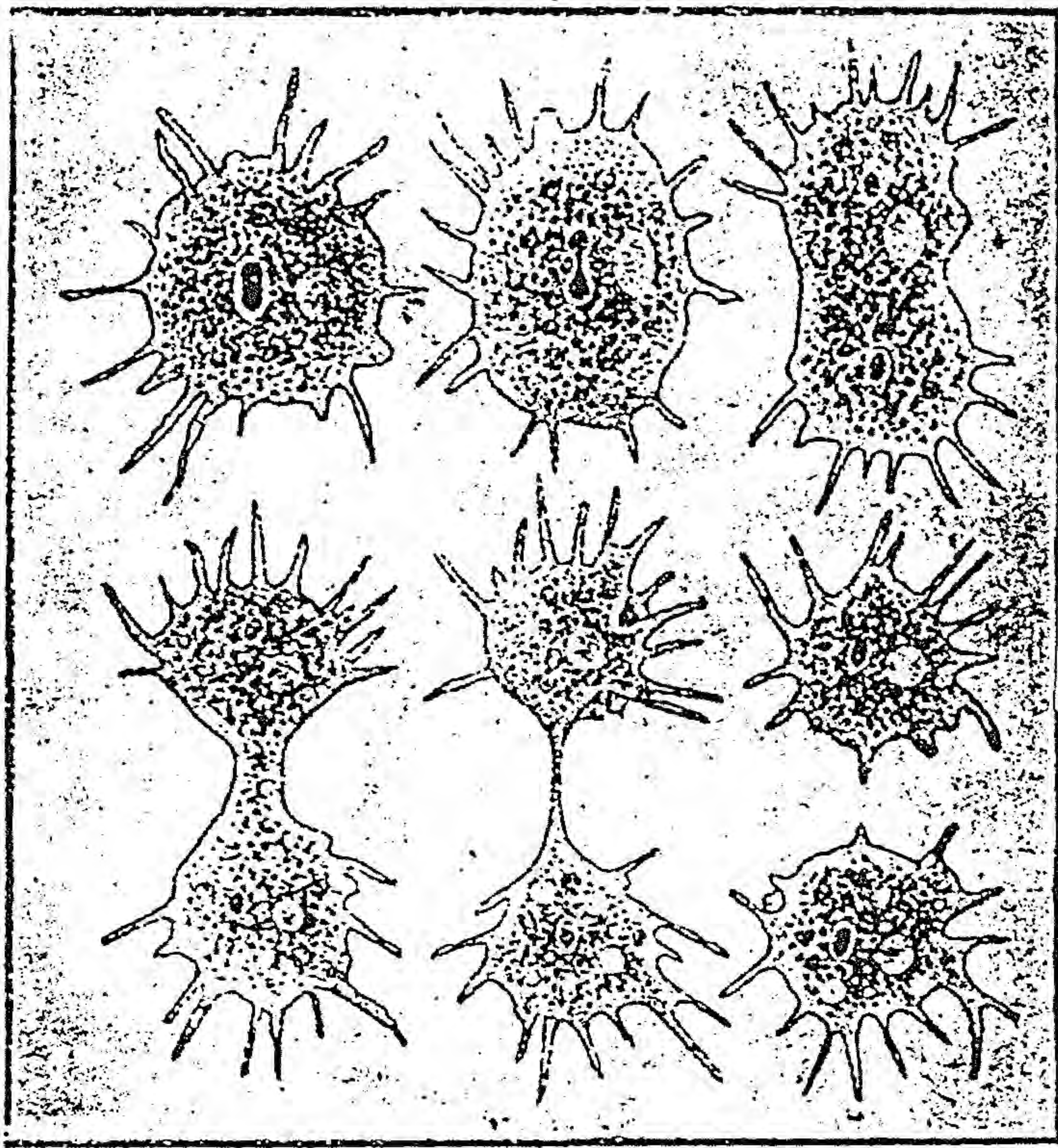
٦ - التكاثر

تتكاثر الأميبا بواسطة الانقسام المباشر ، وذلك بأن يكبر حجم الحيوان أكثر من اللازم ، وعندئذ يستطيل ثم يضيق قليلاً قليلاً من الوسط وتكون النواة قد انقسمت الى نصفين قبل ذلك ، وذهب كل واحد منهما الى حد جزئى الحيوان ، ثم تنقسم الأميبا مرة واحدة

وهناك طرق أخرى للتكاثر ، منها التزرير وهو عبارة عن تضخم جزء من أجزاء الحيوان ثم انفصاله عنه حيواناً كاملاً كما فى أميبا الديسينطاريا .

ويرى البعض أن التكاثر فى الأميبا والحيوانات المماثلة لها هو ضرب من النمو . وذلك لأن الحيوان يكون قد نما بكثرة التغذية الى حد لا يستطيع معه غشاه الخارجى أن يحتوى كل المواد الغذائية المدخرة فيه . فلئلا ينفجر الغشاء ويموت الحيوان ، يحصل الانقسام ويقع التكاثر وعلى هذا فلا أميبا خلدة ،

إذا لا يحصل لها موت طبيعي . (راجع الشكل)



٧ - تطبع الحيوان للبيئة .

تتأثر الاميبا بالاثاثات الخارجية ، فتتجنب المركبات الكيماوية الضارة وتدنو من المواد الغذائية . واذا ماتركت في الماء أرسلت أقدامها الكاذبة باحثة عن سطح جامد تستند اليه . والجو يؤثر فيها ، ويذهب الكثيرون الى أن تأديتها لشتى الوظائف الحيوية ، دليل على أنها مركبة من نسيج متمناه في الدقة ، لا يمكننا وسائلنا العلمية اليوم من تحليله ومشاهدته . وهم يقارنون الاميبا بالغرفة الواحدة المهيئة بكل لوازم الساكن .

وأما الحيوانات الراقية فهي بمثابة المنزل الكثير الغرف والمخصص كل غرفة منه لأمر خاص ، ولذلك فدراسة وظائف الحيوانات العليا أسهل بكثير من الحيوانات الدنيا المنحطة المرتبة لاستحالة تعيين أجزائها

أن تغير مواقع الأجزاء الغذائية في جسم الاميبا تبعاً لحركة الحيوان قدحداً بالبعض الى القول بان البروتوبلاسم الداخلي هو بمثابة فقاعة الصابون وأن الاجزاء

الداخلية للأميبا ليست أعضاء ثابتة بمعنى الكلمة بل إنها تتكون في أى موقع من جسم الحيوان . ويعرف هذا الرأى « بالرأى الفقاعى » أو « النظرية الفقاعية » على أن الرأى السائد هو أنه من المحتمل أن يكون البروتوبلاسم مؤلفاً على هيئة شبكية بحيث يحتفظ الحيوان بكل جهاز في موضعه انماص ويعرف هذا الرأى « بالرأى الشبكي »

٨ - الأميبا المرضية ،

يعيش بعض أنواع الأميبا في أمعاء الحيوانات وبالأخص في أمعاء الانسان . وهي نوعان . نوع منها يسمى « الأميبا المعوية » — A. Coli — وهي غير مضرّة والآخر يسمى أميبا الديسينطاريا ! وهي التى تسبب المرض المعروف ؛ وتتماز عن بقية الانواع بأنها تتكاثر بطريقة التزور التى شرحناها من قبل

حسين تقى أصفهاني



سر العالم

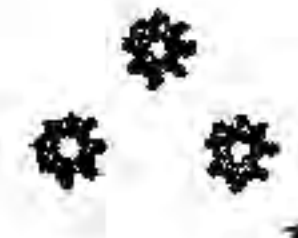
—

سألت النجوم وقد ازهرت لماذا اتخذت السهاد حياة ؟
 تطلين فوق وجود حوى عوالم شتى بعين الشغوف
 بصمت يكاد يمل ولا يزيدك صمتك الا ثباتا
 كأنك فيه مريب يشك وفى نظراتك كالفيلسوف !!
 فألقت على ضياء عجيبا خشعت له صامتا ساجدا

* * *

وللبدر حين طفى موجه شعاعا على الكون قد أغرقا ...
 بعثت سؤالي يجوب الفضاء فلم أحظ منه له بالجواب
 وقد كان يزهو بحراسه على عرشه عاليا مشرقا
 فلما درى بالسؤال تواری خجولا وراء كثيف السحاب

وخلف من نوره قطمة سرت بالجلال تنير نوادي



ولما بدى الروض فى حلية يضاهى النسيم بجناحه
 همت بأذان أزهاره سؤالى قالت الى الجدول
 وأغنى البنفسج أنظاره ينالس من تحت خاماته
 فقلت انزعن حجاب الحياء ويازهرة الحسن لا تخجل
 هب النسيم فلم ادر ما اسر الى الزهر حتى انثنى



وفوق الغصون شدا طائرا بصوت رفيع يحاكي الانين
 فقلت لمن وانصت ؟ حيناً لصوتى ... وصار الى وكره
 وعاد يردد تحنانه فيدوى بجوف الظلام الرنين
 فاسرفت فى الصمت كي لا يها ب وظلت أتوق الى سره
 كانى به لا يريد قرار على النعنع أو وكره من الم !!



والبحر سر قضى نحيبه وبالكون فى نفسه هازى
 يهيج فيندر شئانه بويل . ويصفو كحل الطفولة
 أبى ان يروح بأسراره فلا الموج يدري ولا الشاطئ
 يسرح قلبي انظاره بأماوجه فتعود كليه
 وكيف تبين اشواره صخور على جانيه أقامت ؟



صرخت بجوف القضاء فمن يرد على الجواب إذن ... ؟
 سالت الطبيعة فاستبهمت سؤالى هل الكون لا ينطق ؟
 اذالم تجبى الطبيعة عنه فبعد الطبيعة اسأل من ؟
 فجوابنى الفجر فى رحلة سل القلب فيك لمن يخفق؟؟
 ومند الصباح يديه لية طف زهرالندى فاستبان ذكاء



السر الدفين

—

أيها الباحث عن سر الحياة : لست تدري أى سر
 إنما سر الحياة مبهم المثل عسير
 إنما في الدهر سر مغلق طي الضمير

...

قد سألت الناس ما هم ؟ فأجابوا كيف ندري
 إنما الأشباح تغدو وتروح
 ضلالت فدى تشدو وتنوح
 كلنا في الدهر سر متعلق طي الضمير

...

وضمير الدهر قبر مظلم لا ضوء فيه
 وهو صخر جلد ميت ، لاحس فيه

...

فل الصخر اذا الصخر اجابا ما الحياة ما الوجود ، ما المنون ؟؟
 ان يجيب الصخر من يسأله فدع الفكر ، ونم ملء الجفون
 تلك اساء ولكن اسمها واحد يدعى بدنيانا المنون !

من لامل الصيرفي

مذكرات (أنا)

بفلم (ى)

- ١ -

وبى من جيل ثلثه وكأنه ما مر وها عيناي تتطلعان إلى الخلف قصد استقصاء ما فات فلا تريان سوى ماضياً منسياً ترصعه ذكريات تكاد تكون قائمة وعيشاً يحاول فكرى تحريك مياه الامس الآسنة . بالطبع ولدت ودرجت ثم مررت بدورى الصبوة فالشباب كبقية جميع الناس ولكنى وأنا على وشك دخول باب الرجولة ينحيل الى أن باب الفتوة أيضاً سيوصد خلفى بعنف فلا يتبقى لى منه بعدئذ غير ذكريات المراحل التى سبقتة . لذلك أنا أقيد مابقى في ذاكرتى منه وهو غير كثير تأملت كثيراً وسعدت ولكن من لى بالذى يصوره دوائى الغبطة والتعاسة لازنها بميزان العقل عساى أرى هل كنت محققاً أو غير محقق فى ذرف تلك الدموع وفى ارسال تلك التهديدات ، بل هل كانت شفتاى تنفرجان عشناً بالابتسامات وهل كان فؤادى ينفق سروراً للأسباب .

إيه سن الشباب ! خبرنى فأنت هو الأقرب وقل كيف يخاطب القمر بل كيف يتفاعم الناس مع الزهرى ويوسطون الذسيم بينهم وبين من يصبون اليه . لا تنزعجوا أيها المحبون قلبى لم يعد يفهم للفظه الحب معنى فقد شاخ ، أجل شاخ ولما يمضى عليه أكثر من ثلث قرن بعد

الدماغ النشط لم يعد كما كان بل أصاره الزمن ساحة فضال يناجز فيها المعقول غير المعقول وذلك القدر المعتدل الذى كن يعجز صاحبه عن تقدير قيمته أصبح عبأ ثقيلاً ولم تتقدم خطواتى لتقطع مرحلة الرجولة بعد

وأن تلك الساحرة التى كنت تبدل النحن تغريداً وتقلب الشعر آيات بينات . فهذه هي قصائد الغزل والنسيب ملقاة جانباً لا أجد فيها لذة ولا شبه لذة .

أحقيقة خلق الله عينين اثنتين فقط لحاظهما كلسهام القاتلة وجعل لهما صدرأً يقبلها مغتبطاً هائناً ؟ أحقيقة منح الله لغادة واحدة فقط قدأً أهيفاً في إمكانه أن

يصعق إذا أدبر وبقدرة أن يحى إذا ما أقبل ؟ أأوجد الله إنسانة لا شبهة لها
لا تنفرج ثناياها إلا عن نغمات مطربة ؟

تكلّموا أيها المؤمنون وخبروني هلا تزالون تقيسون سعادة المؤمن بمقدار
ما ينصب عليه من الألم ؟.. الألم المضنى ، الألم الساحق الملازم للذة والاستكانة
مع الاستسلام التام ؟ هذا ما كنت أشعر به عند ما عرفت معنى الإيمان . ها أنا
أطلع إلى صورة شمسية لامرأة لا تفترق أبداً عن أية من اللاتي تقابلهن في
الطريق ، قدّها مشابه لقدهن وعيناها كبقية الأعين والامحها لا تستحق
اهتمام تلامذة روفائيل ، ومع ذلك أقسم أن الصورة لم تعد جذابة كما كانت وأقسم
أيضاً أنها لم تخرج منذ سنين عشر من مخبأها وانها هي لم تستبدلها يد أثيمة
بأخرى دونها بمراحل في الجمال

لم قضيت إذن تلك الليالي الطويلة متحملاً زمهرير الشتاء وأنا أطوف حول
المنزل الذي كانت تقطنه غير عابى بالريح الصرصر العاتية وغير شاعر بافوا ما القرب
تقدفني ماء وبردا ؟ ولم كنت أقف في طريقها غير منهم بما كانت تسلطه على ذكاء
ودون أن أزيل نقط العرق الذي كان يغمر جسدى وذلك فقط كي أسعد برؤية
محياتها لا أكثر

ولما كنت أمدد ليدها يدي كنت أشعر بقلبي ساكناً كأنه لا ينبض
وكنت أغمض عيني وكان يتمتع تفكيرى . وأكثرت من هذا وذاك كان يعتقد لسانى
ويعتربنى ذهول اعتقد تمام الاعتقاد أن متعاطى المغيبات لا يتحصلون على شيء
مشابه له ولو بعض الشبه . هذا إذا تمكنوا من استهلاك كل ما تصل اليه أيديهم منها
وكنت أقرض الشعر ، صدقوني اننى كنت أفعل ، وكان شعراً أقل ما يقال
عنه أنه طالما أطرب أترابى فاستعادونى إياه . وكانت أنا ملى تتحرك به بينا ذهني
عنه منصرف الى لاشيء لوصح له هذا التعبير وكنتم أشعر بقلبي ينتفض وكم
تصورت أن الذى كان يلى على بنانى ما كنت أحسبه كافياً لابهاج الانس والجنان
كما يقولون . ولكن ها هي مجموعة السخافات المكونة من الفاظ مبتذلة جوفاء
ملقاة أمامى على المنضمة وها أنا أضن عليها بنظرة بعد ما كادت عيناى تلتهمها

كل يوم مئات من المرات وأنى شهيد بأن شفتاى تعودتا تقبيلها كل يوم مرات
بمبلغ ما كنت أفهمه من معنى الخشوع وكان ذلك في وقت من الأوقات
مسألتي أطرحها لعلماء النفس وأنا يائس تماما من قدرتهم على الإجابة
والى الذين يجرى فى عروقهم دم الشباب أقدمها وأنا ضامن أنهم لن يحيروا جوابا
بل ينغمسون فى حبهم إلى آذانهم وسوف يتساءلون كما أنا أتساءل الآن ولكن
حين لا ينفع سؤال

— ٢ —

بالسنين الشباب الملائى بالاحلام والتفاؤل. هي فترة من العمر يبلغ الإنسان
فيها غاية ما يصل اليه طول حياته من الميل الى تصديق كل ما تسمعه أذناه مما يجب
ومما يذكره . وكنت بدأت أدرس الفلسفة الاخلاقية فحفظت ماحوته كتي المدرسية
من معانى وتفاسير الخير والشر وكنت أبذل جهدا عظيما لا كون نموذجا للخير الذى
وصفوه لى وبت أعتقد تماما أن مدرس الفلسفة الاخلاقية منزه عن الشر وخذعتنى
عيناي فابصرت موجة الاخلاق الفاضلة تكتسح من الوسط الذى كنت فيه
أثار كل شىء ردىء . هكذا عشت عيشة نقية بسيطة زاهدا فى اللذة محرمة
كانت أو محالة فاذا ماتصادف واجتمعت بشخص لم يسبح فى فلسفة الاخلاق كما
كنت أنا ووسطى نفعل، فسرعان ما كنت ألاحظ أنه فى حاجة الى استماع محاضرة
أخلاقية وبالفعل كنت اقرعه بالوعظ والارشاد الى أن يفت من موقفه بمعجزة
وهو يتنهد شاكيا سوء حظه

حقيقة كنت قانعا بوجه الدنيا المضىء الذى نبهت الى وجوب النظر اليه
دون غيره وحقيقة كنت أشعر بسعادة أعجز عن وصفها الآن وكنت سعادة بلهاء
ساذجة ولست أعرف بالضبط كم من الوقت ظلت هكذا مؤمنا أقول بإمكان
الحياة الى الابد فى الجو الذى أفتته الى أن شعرت بيد أستاذ الفلاسفة الاخلاقية
تصفنى دون رحمة فأصبت بذهول . أجل فقد كذب وكنت أظنه عن الكذب
مقصوما ولم يكن لدى مجال للشك فى انه كذب متعمداً واذا بالماضى يرتد نحوى
حاملا مجرياته فلاحظت لسوء الحظ ذلك الرجل - دون غيره - فى أحقر ما يمكنك

تجنيده من الصور فبدى لى كذبه فى حوادث عديدة . فياله من ذئب اتخذ شكل
حمل وديع . فكرهته سرّاً فى البدء ولم ألبث قليلاً حتى تشجعت فجاهرت للمقربين
بسرى العظيم المكنون ولم تفته السنة المكتبية حتى وكان لى حزب لا يستهان
به من الرفاق مجمع على احتقار « الوغد الكذاب »

وبدأت السنة الجديدة فحضرت على أستاذ خصص لتدريس علوم المنطق
والاقتصاد والنفس والاجتماع معا وكان عملياً وميلاً للاخذ والرد مع تلامذته
يفهمهم دائماً ولكنه فى بعض الاوقات يتظاهر أمامهم بأنه كان مخطئاً فيعترف
بخطأه وهوم وأظنه كان يفعل ذلك ليعلم تلامذته أن الرجوع للحق فضيلة وكان
ملحداً . هذا ما كنا نعرفه عنه وكان السبب فى احتراسنا منه ؛ فكنا نتمادى
التشاغل عن درسه حتى لا نجد تعاليمه الإلحادية منفذا إلينا ولكن لباقة أفلحت
فى جذبنا الى مجال المناقشة معه وهو ما كنا نتحاشاه جهداً إذ كان كنا يعتقد
أن الغير قد يغتر بالفاظه الخلابة فيفقد إيمانه وصار كل منا ينتهز الفرص ليختلي به
ويقارعه بالحجة بالحجة وكنت أحد المغرورين الذين يمنون أنفسهم بالانتصار عليه
ولذلك فعلت كما يفعل الجندي قبل نزوله ساحة القتال فتزودت بكل ما حوته كتب
الاخلاق التى تمكنت من الوصول اليها وبدأت لى فرصة صالحة . فقد كان يتكلم
عن الملكية فتدرج الى شرح رأى الاجتماعيين من أنها نتجت عن السرقة وعن
الاستئثار بقوة الزراعة ثم أردف يقول أن البعض يدعى أن « لا تسرق » ليست الا
وصية الذين امتلكوا للذين لم يكن لهم ما يملكونه ، والمقصود منها المحافظة على الغنيمة .
وبعضهم يقولون أن بقية النظريات الاخلاقية وضعها أشخاص أنانيون استلبوا
وأبوا على غيرهم أن يعاملوهم بالمثل . فاذا بعينى تقدحان شرراً فصحت به أنت تكذب ،
ذلك فى نفس الوقت الذى فيه صاح الرفاق محتجين ولكنه لم يغضب بل تبسم
وقال لى أظنك تقصد أن تقول أن ما قلته خطأ فاعلم أنه قول الغير لا قولى ثم أجابنى
بان عمله يحتم عليه بسط وجهات نظر الناس لنا لكي نستنتج منها ما نظنه معقولاً
وكذلك أجاب أن الخطأ والصواب اصطلاحان نسبيا مثل الخير والشر ثم
قال بان اقتصار المدارس على ملء أدمغة الطلبة بنوع مخصوص من التعاليم مضر

بهم كثر ضرر فان خدعهم ذللة الجائعات ينحصر في جهلهم بحقيقة الواقع وهو أمر خطير إذ كما يكون اندهاشهم عظيماً عند ما يفاجئون بعد خروجهم للحياة العملية بوجود وسط غير الوسط الذي كانوا يتخيّلونه وقد تتواتر عليهم الصدمات فتقل عزائمهم ويسقط في يدهم أو ربما انقلبوا حائقين على الوسط لدرجة قد يصيرون معها أعداء للمجتمع. وقضيت معه ساعة بعد انتهاء الدرس. وأعترف انني دهشت عند ما أظهر لي أن مدرس الاخلاق لم يخرج عن كونه انسان له سقطات قد يضطر اليها أو يختارها ظناً منه بأنه ينقد الموقف أو بالاقل ليعطيه رونقاً وجاذبية وهل يوجد في الناس من هو معصوم عن الخطأ

ومع انه قد انقضى على ربح طويل من الزمن وانا فكر، اعترف بانني لا أزال عاجزاً عن أى الطريقتين اتبع وهل يجب علينا أن نظهر لا بناءنا العالم (١) كما يجب أن يكون أو

(٢) كما هو الآن بحسناته وسيئاته

ولكن والحق يقال أنا أميل الى الرأي الثانى فان المتفائل قد ينقلب متشائماً ختاراً إذ ظن ان العالم هو عكس ما ظنه تماماً ذلك بخلاف الذى يتمرن على فهم الدنيا بنخيرها وشرها فقد يقبها على ما هي عليه أو ربما ساعدته الظروف فينقلب متشائلاً متطرفاً

هذا موضوع يستحق البحث أيضاً أليس كذلك ؟

ملخصة بتخريف

(...)

النقد والتأليف

مناظر ك نظير ك

الدكتور يعقوب صروف

أردسبر وهياة النفوس

تأليف واقتباس أحمد زكي أبو شادي في ١١٤ صفحة من القطع الصغير ؛ وهي قصة غرامية تلحينية طبع المطبعة السافية بمصر .

الأستاذ أحمد زكي أبو شادي من أكثر الشعراء إنتاجاً ومن أشدهم غيرة على تجديد الأدب من طريق الشعر والتأليف المسرحي . وقد أهدانا هذه القصة فلم نشأ أن تتناولها بالنقد قبل أن نلم بما فيها المما تاداً . ولقد نشرنا من قبل كلمة نقد في رواية إحسان والحق أن ناقدنا كان قاسياً في نقده بعض الشيء ، وإن كان على حق في أكثر ما رأى من نقد .

فليس يكفي في القصة التلحينية مثلاً أن تكون منظومة ، بل يجب قبل كل شيء أن تكون مفهومه متسقة الايات ، سهلة الفهم . والا فان صرعى القصة نفسه يضيع من أذهان الذين يشاهدونها اذا كانوا سيجهدون أنفسهم على الدوام ليستخلصوا من الايات تلك المعاني الخفية التي ألبسها الشاعر دائماً ثوباً من الخيال يبعد كثيراً عن المعنى المفهوم من ظاهرها ، أو على الأقل أسبل عليه ثوباً من المعنويات لا يمكن أن تؤدي اليه ظاهر الايات . ولقد عمد شاعرنا الاديبي في أكثر المواقف الى حشو بعض شطرات في خلال كلام متسق جميل لا يمكن أن يتسق معناها مع ما بعدها وما قبلها ، فأضاعت عليه جهداً كان يكبره فيه الادب وتكبره فيه العبقرية ، لولا هذه التحشيات التي لا يمكن أن يفهم لها معنى الا اذا التمسته على طريقة التأويل التي يلجأ اليها مفسرو الكتب المقدسة في تفسير ما لا يفهم من ظاهر القول ، او مالا يتفق مع السياق او مع الحقائق الواقعة .

خذ مثلاً النشيد الاول الذي تفتتح به الرواية :

الجلال والسيادة للملوك الاكابر
والجمال والعبادة لا الشكوك ، للازاهر
فهذا النشيد لا يتعدى أنه كلمات مرصوفة لا أكثر ولا اقل . فما العلاقة
مثلا بين الجمال والعبادة وبين الشكوك ؟ وبين الازاهر ؟
ولكنك تخرج من هذا الى شئ فيه جمال بحق . فاذا قرأت مثلا .
يا مليسكا مستقرا ساد من حب الرعية
عش لشعبك عش لشعبك
لن ينال الملك عزاً ومكاناً في البرية
دون حبك . دون حبك

وقرأت بعد هذا المقطع . طلع النشيد الاول نسيت جمال هذا بفتح ذاك .
وعلى هذا تجد الكثير مما في رواية أردشير .

ولقد اصاب الاستاذ إذا انتقى هذه القطعة عن الف ليلة وليلة ، فاتها ولا شك قصة
شيقة الوقائع حسنة السبك جميلة المرامي . غير اننا مع هذا نتفق أيضا مع الاستاذ في
كراهية الاقتباس وندعو الى الابتكار ، ابتكار الوقائع أو صب الوقائع
التاريخية في قالب قصصي روائي .

ولا نزال نأخذ على الاستاذ طول المقدمات والاشادة بذكر تواليغه وذكر
نبوغه فان هذه الاشياء ليس من شأنها أن ترفع قيمة تواليغه ولا قيمة شاعريته ، بل
بالضد من ذلك تنزل بها الى الدرجة التي لانرضاها له . فلست استحسن مثلا
ان يكتب في مؤلف وفي مقدمة كتابه « انه الشاعر البناء المطبوع » ، وانه
« اطلق من غيره يدا في الشعر القصصي وامضى في اقتحام هذا الطريق المجهول من
الادب العربي ، ولأنك في ان شاعرا مثله جدير بان يضطلع بهذا العبء
أو ينهض به »

ولقد عرض ذكر الاستاذ سيد درويش في المقدمات التي وضعت للرواية
واغتبطت بان تهدي اليه لأول مرة رواية قصصية في مصر تقديرا لمجهوده
الذي بذله في ترقية فن الغناء العربي . غير أن لي في المرحوم سيد درويش رأيا لا

أظن أن الكثيرين يوافقونني عليه . فانه على الرغم من كل مجهوداته التي اجلها واحترها ، اعتقد أنه خرج بالغناء العربى عن طريقه التقليدية الصحيحة . وعلى هذا نحتاج الى وضع قواعد جديدة . وهذه القواعد لم توضع حتى الآن . وان يكون للمرحوم سيد درويش من أثر خالد الا بوضع هذه القواعد التي نرجو أن توضع في أقرب حين .

* * *

مرهاً غاندى

تأليف رومن روللان وترجمة عمر فاخورى . هدية مجلة الكشف سنة ١٩٢٧ مطبعة طباره بيروت ، في ١٥٣ صفحة من القطع الكبير جيد الورق والطبع .

الظاهر ان مؤلف هذا الكتاب من المعجبين بالزعيم الهندى ومن أكبر المناصرين لحركة الاستقلال القائمة بين الامم الشرقية والتي بعثت بعد الحرب العالمية بعثاً جديداً . والحق أن أمثال روللان قليلون جسد القلة بين الاوروبيين . وآخر من عاش منهم فى فرنسا يدير لوتى العظيم الذى نصر الشرق ، ونصر الاتراك فى أخرج مواقفهم ، وحمل على أعدائهم فى الوقت الذى تألبت عليهم فيه أوروبا كلها .

من اصعب الاشياء أن نحدد شخصية غاندى . فانك لا تستطيع أن تقول انه سياسى ، ولا زعيم ثورى ، ولا نبى أتى بدين جديد ، ولا فيلسوف بشرى بمذهب حديث ، ولا أنه من رجال الدبلوماسية على القواعد التى جرى عليها أهل أوروبا فى العصور الاخيرة . فان أول ما يتطلب السياسى من الصفات أن يكون ليناً فى الحق وفى غير الحق وليس هذا من صفات غاندى فان صلابته فى الحق تكاد تكون من أخص صفاته . والزعيم الثورى لا يفهم معنى للمبادئ التى يبشر بها غاندى . فالثورى لا يعرف غير القوة من سلاح يحارب به المستبدى . انه لا يعرف للسلب ولا للاستكانة معنى بل يعرف أن عدم التعاون دليل على الضعف الانسانى وبرهان على الاخلاق للقوة التى لا يمكن أن يدال منها الا بقوة مثلها . كذلك لا يمكن أن تقول ان غاندى نبى جديد ، على الرغم من أنه من أشد الناس

استمسا كما بقواعد الدين الهندوسى ولزوما لظاهر ما تنص عليه قواعده الاولى .
لان من أخص صفات النبي أن يدعى بأنه موحى اليه من قوة عليا يستمد منها
النهى والرشاد . ولا تستطيع ان تقول انه فيلسوف لان الفلسفة تبعد عن قيادة
ال جماهير بقدر ما يبعد الدين على حقيقته عن الدنيويات . ولا هو من رجال الديبلوماسى
الحديثة لانه لا يفهمها ولا يستطيع أن يوفق بين مبادئه السلبية ومذهبه الدينى
وبين مراوغاتها انفرية . إذن فالمهاتما غاندى يعيش فى هذا العالم بجسمه فقط
دون روحه . وهو عند حد قول رصيفه الكبير طاغور إذ يصف الناسك
« شىء ولا شىء »

ولقد أردت أن أستخلص من كتاب رولان شيئا أستطيع أن أحدد به
شخصية المهاتما الكبير فلم أستطع . والحق أنى انتهيت من الكتاب أشد حيرة
مما بدأت به . وإن يكون للانسان من سبيل يطفىء به حيرته وينقع غلته إلا بتحديد
الشخصيات إذا أراد أن يخرج بنتيجة ما من كتاب يتناول حياة نابغة كبير بالوصف
والتحليل . والحقية ان الكتاب فائض الجوانب فى شرح هذه الشخصية الفردية
غير أنه بعيد عن أن يعطيك فى غاندى فكرة محدودة ، فانك ولا شك تجد
نفسك بعد أن تقرأ الكتاب محتاجا إلى من يجيبك « من هو غاندى
وماهى شخصيته ؟ »

على أنه من أكبر العسف أن نلزم رولان بأن يفهم من غاندى ما لم يستطع
أهل الهند أن يفهموا منه . فهو لغز من الغاز الطبيعة ومسر من أسرارها العميقة التى
قامت عقليات أهل الشرق التى هي أقرب اليه من غيرها عن أن تفهمه وتعرف
سره . على أنك لا تكون أكثر بدءا عن تحديد شخصية غاندى منك إذا لجأت
إلى الخيال ، فقلت أنه كتلة متحركة من الأخلاق الفاضلة ، أو جبل لا يتزعزع
عن الحق ، وملاك يخلق فى نساء المعنويات . فانك مهما قلت من أمثال هذه
الأشياء لن تصل إلى شىء من تحديد شخصية الزعيم الكبير ..

أما فى العمليات فان غاندى أبعد عن أن يؤثر فى السياسة عمليا تأثيرا يودى
إلى مبدئه فى « الهندسواراج » أى استقلال الهند الذاتى . فان الفرق بين طرائقه

العملية وبين ما يرمى إليه من مقاصد بعيدة، حتى ليخيل اليك أن غاندى يريد أن يهبط الاستقلال على الهند من السماء .

ولغاندى في الهند أعداء سياسيون لا يرون في طرقة السلبية من فائدة عملية مطلقاً . بل أظن أنه من خير الهند أن تنزع الى التجديد الحديث على القواعد الأوروبية لتفهم ما هي حرية الفكر وما هي النتائج التي تترتب على اختلافاتهم الطائفية . فإن اتحاد الهند سبيل الاستقلال الحقيقي . ولا سبيل لهذا الاتحاد الا بالهضاء على النزعات الطائفية التي تغلى مراجلها في صدور أهل الهند على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . على أن الاختلاف الطائفي في الهند أمر موروث منذ أبعد الأزمان ، وكان سبباً في أن يخضع أهل الهند لملوك من مختلف بقاع الارض . على أن الانجليز هم أكثر من عرف من الناس كيف يستغلون هذا الخلاف ليخضعوا الهند بعدد من الجنود لا يتجاوز عدد أهل مدينة واحدة من مدنها الكبرى .



لماذا أنا مسيحي

تأليف الدكتور فرانك كراين ، وعربه بتصريف الأرشيمندريت أنطونيوس بشير ونشره يوسف توما البستاني في ٣٤٦ صفحة من القطع الصغير .

نشرنا في المصور من قبل بحثنا لخصناه عن الفيلسوف الكبير برترند رسل تحت عنوان « لماذا أنا ملحد » . والحقيقة ان اسم الكتاب « لماذا أنا غير مسيحي » غير اننا اخترنا أن ننشر التلخيص بهذا العنوان تخفيفاً لوقعه في آذان اخواننا المسيحيين . ولم يكد نظرى يقع على عنوان هذا الكتاب « لماذا أنا مسيحي » حتى عادت بي الذاكرة الى كتاب « رسل » فقلت في نفسي ان هذين الكتابين عنوان على ما في هذه الحياة من التناقض الغريب . رجل يشرح لماذا هو مسيحي وآخر يحاول ان يفهم الناس لماذا هو غير مسيحي ، والفرق شاسع وشقة اختلاف بعيدة . على ان كلا الرجلين يعيش عيشة راضية حسن الأخلاق بعيداً عن الاضرار بالناس ، فهل يمكن ان يكون اساس الاخلاق في هذه الدنيا مسألة عقلية لادينية ؟ وان الدين عبارة عن خلاص الانسان في الآخرة تنماء اعماله

في هذه الدنيا من غير احتياج الى الاعتقاد بمجموعة من الأقوال والحوادث التي تتنافر مع العقل والعلم تؤدي والباحث الى حيث وصل «رسل» ؟
قال أحد القديسين أن كل شخص سوف يعامل في الآخرة بحسب شريعته .
هذا ليعلل أن عظماء الوثنية سوف يحاسبون على مقتضى شريعتهم ، فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل جهنم اقتصاصاً منه تلقاء ما فرط في حق الوثنية . فذاصح هذا القول وصح تطبيقه على الوثنيين الذين عبدوا الله من طريق الوهم والاصنام ، فكيف لا يصح على المسلمين في نظر النصارى وعلى النصارى في نظر المسلمين ، وعلى الموسويين في نظر الاثنيين ، وعلى أهل كل الاديان في نظر الجميع ، والكل يعبدون الله من طريق اختاره لهم من لا اختيار لهم في اختياره ؟

« لماذا أنا مسيحي » سؤال لا يمكن أن يجيب عليه المسلم أو اليهودي جواباً يختلف عن الجواب الذي يجيب به النصارى . فالكل يقولون ولأول وهلة لأن أبى كان نصرانياً أو مسلماً أو يهودياً . اذن لا اختيار للانسان في دينه كما أنه لا اختيار له في ان يوجد أو لا يوجد في هذه الحياة . والحقيقة ان كل الأجوبة التي أجاب بها مؤلف الكتاب رداً على سؤاله هذا ، يمكن أن يجيب بها المسلم واليهودي والبوذي والزرادشتي والبراهمي ، بل وجميع أهل الاديان الذين يقطنون هذه الارض . والحقيقة أن الناس ما اضاعوا من وقتهم ومن جهودهم بقدر ما اضاعوا من الاجابة على مثل هذه الاسئلة العقيمة التي لا تؤدي الى شيء اصلاً . على اننا ندعو الناس على اختلاف مللهم ونحلهم الى قراءة هذا الكتاب . فان كلا منهم سيجد فيه ما يبرز به معتقده الديني بصرف النظر عن مسيحيته أو اسلامه أو يهوديته أو وثنيته .



رسل وزبر

الله بالانجليزية جبران خليل جبران وترجمه انطونيوس بشير ونشره يوسف توما البستاني في ٨٦ صحيفة من القطع الصغير محلي بالصورة

الادب الذي انتشر في المهجر السوري بأمريكا أدب لا يحتاج الى كثير عناء ولا

الى دراسة عميقة ولا الى اعمال الفكرة . بل ولا يحتاج الى اسلوب . فان الكاتب مهما بلغت درجته يستطيع أن يكتب جملا قد تؤدي معنى أو لا تؤدي في سطر لاتزيد كلماته على العشرة ولا تقل عن الاربعة .

ولقد انتشر هذا الضرب من الادب بين كثير من ادباء سوريا . على انه لم يصل الى مصر بعد ولعله لا يصل اليها الا من طريق أمريكا وسوريا . وخذ لذلك التلا

« مع ان الامواج تغمرنا أبداً . فان عمقنا صامت أبداً » — « عبثاً يحاول الشاعر أن يهتدى الى أم أناشيد قلبه » — « كثيراً ما ينتحر الانسان في الدفاع عن نفسه . »

ولا نريد أن نزيد من الامثال فالكتاب فيه منها الكثير . واعتقادي أن هذا الشعر المنشور لا تأتي فيه الحكمة الا عفو الخاطر ، لا عن عمد وعن تفكير صحيح . والحق أن مثل هذا الادب بعيد عن أن يحدث أثراً في الارتقاء الادبي أو تجديد في الاساليب ، لانه غير محدود ، واسع كالمحيط ، ولكنه قليل الماء ، كالضحاضح .

* * *

أصول علم النفس

تأليف أمين مرسي قنديل أستاذ علوم النفس والتربية بمدرسة المعلمين العليا . الجزء الاول يقع في ٣٣٤ صحيفة من القطع الكبير ، حسن الطبع

الكتاب مدرسي تعليمي صرف لا استعراض فيه لمختلف المذاهب القائمة اليوم في علم النفس والاصول التي تقوم عليها هذه المبادئ . وحسنا صنع الاستاذ في مؤلفه اذا كان الكتاب سوف يدرس لتلاميذه أما اذا كان الكتاب قد وضع لجزء الاطلاع وتوسيع منطقة البحث ومدى النظر العلمي فالكتاب ناقص من هذه الجهة . واخص ناحية من نواحي النقص فيه ان المؤلف لم يعن بمحصر أسانيده التي اعتمد عليها في البحث والموارد التي استمد منها القواعد التي بني عليها مختلف النظريات التي استعرضها في الكتاب

على أن مؤلف كتاب في علم النفس ، مهما ادعى بانه تحرر عن التأثير بالمذاهب

وأنه أخذ بالأصح منها لن يسلم مطلقاً من التأثير بمذهب دون مذهب، ومن العكوف على أسلوب تفكيرى دون أسلوب . وكان من الواجب عليه أن يسهل مهمة الذين يعكفون على دراسة كتابه القيم بأن يعلن عن الناحية التى يرى أنه أميل إليها فى البحث والمذهب الذى هو أكثر تأثيراً به . على أية حال أرى أن المؤلف قد تأثر بما كتب الاستاذ وليم جيمس المعروف سواء أكان قد استمد منه مباشرة أو استمد من مؤلفين اتبعوا مذهبه الجديد فى علم النفس .

على أن علم النفس على الرغم من التقدم الكبير الذى تقدمه خلال الخمسين عاماً الفارطة لا يزال محتاجاً أشد الاحتياج الى متابعة البحث فى الكثير من مسائله . لهذا لا نعرض لشيء من شتى الآراء التى نثرها المؤلف بكثير من المهارة والوضوح بين دفتى الكتاب ، ولا نغنى بشرح بعض المذاهب التى يرى أصحابها خلاف مذهب اليه . لان ذلك مما لا يتسع له البحث فى جملة كنهه نريد أن نعطي القارئ بها فكرة مجملة عن الكتاب .

ولقد عنى المؤلف بترجمة المصطلحات العلمية التى صادفته فى خلال البحث ، والظاهر أنه ترجم هذه المصطلحات بعد بحث دقيق فيما تحمل من المعانى وما تؤديه من الغايات العلمية ولهذا جاءت ترجمته صحيحة فى غالب الامر .

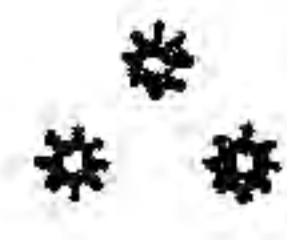
وكنت أود أن أحصر هنا كل المصطلحات العلمية التى وضعها بين دفتى الكتاب لتكون بمثابة معجم صغير تقدمه العصور لقراءها يرجعون اليه عند الحاجة لولا أن كثرة المصطلحات التى عكف الاستاذ على ترجمتها تحول دون هذا القصد على شدة حاجة المشتغلين بالعالم اليه . غير أن هذا لا يقوم حائلاً دون ذكر بعض مصطلحات منها ، وقد نبذ عليها بعض الملحوظات :

قال فى Introspection التأمل الباطنى وفى Retrospection التفكير فى الخاطر عقب حدوثه ، والاصطلاحان كما يرى متقابلين . وترجم Normal عادى . وهذه الكلمة لم يتفق المترجمون على اصطلاح يجرون عليه فى ترجمتها فمنهم من يترجمها (سوى) ومنهم من يترجمها قياسى . والاستاذ قد دبل يترجمها عادى . وأظن أن ترجمتها بقياسى خير ترجمة يجزى عليها المترجمون . وعلى الإنجليز اذا استطيعنا أن نجد

الشخص القياسي في علم من شأنه أن يحدده ، كعلم النفس . وقال في Individual Psychology سيكولوجية الافراد ، ولا أعلم لماذا لا يقول علم النفس الفردي ، وقد قال في Comparative Psychology علم النفس المقارن وفي Animal psychology علم النفس الحيواني . وعاد فترجم Abnormal بشاذ وهي في الواقع مقابل عادي .

وهنا لا يجب أن ننسى أن كلمتي Normal و Abnormal لم تتحدد مدلولاتها في اللغات الأجنبية تحديداً يمكننا من ترجمتها ترجمة صحيحة . فقد كتب أحد الاساتذة الذين يدرسون علم النفس بحثاً أثبت فيه أن ما نحسب أنه قياسي أو عادي هو الشاذ وأن اللاقياسي أو الشاذ هو القاعدة . لهذا نجد كثيراً من الصعوبة في تحديد مفهوم هاتين الكلمتين وبالتبعية لذلك في ترجمتهما ترجمة ثابتة غير قابلة للتغير . على أن الاستاذ قد ترجمها ترجمة أرى أنها على بساطتها تؤدي الأغراض التي رمى إليها .

وقال في ص (٢٦) سيكولوجية الجماعات . وهو يعني بها Social psychology ويمكن أن تترجم بعلم النفس الاجتماعي . وترجم كلمة Consciousness بشعور ثم قال في ص (٤٥) شبه الشعور وهو يقصد بها كلمة Sub-consciousness . وهو لا يرى بالطبيعة رأى الذين يترجمون هذه الكلمات الثلاث بوعي ، وتحت وعي ، ولا وعي . على أن كلمة « وعي » تؤدي عندي المعنى تماماً وهي فضلاً عن ذلك جارية على اللسان ، ولا تقل في الاستعمال العلمي عن كلمة « شعور » . ولم يترجم اصطلاح Rationalism مع أنه من الممكن ترجمته « بالاسلوب العقلي » . وقال في Dissotiation انقسام الشخصية ، والحقيقة « انحلال الشخصية » فإن كلمة « انقسام » لا تؤدي المعنى العلمي تماماً . أما « الانحلال » فيدل على أن الشخص قد « انحلت » شخصيته الاولى ولا بس شخصية أخرى تظهر في مظاهر مختلفة عن شخصيته الاولى تماماً . أما القوة الدافعة (ص ٥٥) التي يختلف على تحديدها النفسيون ويدعوها الانجليز Mneme أو قوة الحياة life force فقد شيرجها الانبيثاند سيمون فيهما « الذاكرة اللاشعورية »



Unconscious Memory وهي الدوافع التي تدفع الشخص على الاتيان بأفعال لا يذكر فيها ومنها حفظ الحياة فانها صفة من أخص الصفات التي تدعونا اليها ذاكرتنا اللا شعورية . وقال في Displacement الاستبدال ، وفي Sublimation الأعلاء . غير أن الأعلاء لا تؤدي المعنى تماماً في نظري لانها قد تنصرف الى أشياء مادية ضرفة ولو سماها التمجيد أو التسامي لكان أقرب الى الحقيقة . وقال في Projection الانعكاس . والاصل في وضع هذا الاصطلاح للتعبير عن الحالة النفسية التي يحاول فيها شخص أن يلصق صفاته بنيره من الناس . فكيف تؤدي كلمة « الانعكاس » هذا المعنى ؟ انما تؤديه في العربية كلمة « الاعزاء » وهي اقرب الى المعنى الاصل . وقال في Associatien اشتراك الافكار وقال في Suggestion الاستهواء والبعض يصرف عليه الايحاء ، وقال في Dissociation انفصال وفي Prestige sug- gestion استهواء صيتي وفي Contra-suggestion الاستهواء العكسي وفي Hetero-suggestion الاستهواء الخارجى وفي Auto-suggestion الاستهواء الذاتى . ولا تجد في الفصل الذى عقده الأستاذ في « العقل والجسم » من اصطلاح واحد يصح ان يجد فيه الباحث ما لا يوافق عليك فلا لفاظ مسبوكه على معانيها كالنوب المحكم على الجسم الحسن التقاطيع . سواء كان في ترجمة المصطلحات النفسية أو التشرىحية

وعلى الجملة قال الكتاب طرفة علمية نهىء به الأستاذ المؤان ونهىء به العربية فانه ولا شك فتح جديد في موضوع لا يعرف له قيمته وخطره الا الاقلية من الناس ، في عصر أخذ كل من جمع بضعة وريقات من شتات الكتب يدعى أنها دائرة معارف وأنها حوت عالم الأولين والآخرين ، والله الامر من قبل ومن بعد . ولقد عرب الأستاذ بضعة كلمات في سياق البحث فقال فيزيقي . وهذا ما نوافقه عليه كل الموافقة وتؤيده فيه كل تأييد . على ان في المصطلحات الاجنبية بعض الأخطاء المطبعية التي كان من الواجب أن يشير اليها الأستاذ دوماً وليس على المبتدئين

مِثَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمُلَخِّصٌ عَنْ أَهَمِّ الْمَوْلَفَاتِ لِأَوْرُوبِيَّةٍ

* *

العقل والادِّعاء

Reason and Belief : By Sir Oliver Lodge

كتاب نشرته شركة (Methuen & Co. Ltd.) بلندن

السير أوليفر لودج من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالرياضيات والطبيعات. وقد لا نبالغ إذا قلنا بأنه من كبار علماء العصر الحاضر في انحاء الدنيا كلها. فإن آثاره في العلوم الرياضية وابتكاراته الكثيرة في علم الفيزيكا مما يتوج به البحث العلمى في هذا الزمان. هذا ما توحى اليك به نظرك في سير لودج اذا اعتبرت جهوده العلمية الصرفة. أما اذا نظرت فيه كفيلسوف نزل الى الدرك الاسفل من الفلاسفة الذين يعتقدون بكثير من الاساطير التقليدية التى لا يؤيدها العلم ولا يقبلها. وعندى أن أغرب ما يرى في سير لودج نزعه الى التوفيق بين التقاليد المتقولة وبين مستكشفات العلوم الحديثة بأسلوب لا تستطيع أن تحكم فيه حكماً مقطوعاً بصحته، أهو أسلوب علمى أم أسلوب نظرى أم مزيج من كليهما؟

على انى لا أريد أن أذهب بالقارىء بعيداً وأن أغوص معه فى تلك الاعماق التى غاص فيها السير لودج واتدرج به من مبادئ العصور الاولى الى الوثنيات الى الدين النصرانى وأتمشى معه فى التوفيق بين مستكشفات العلم الحديث ومبادئ الدين النصرانى، فانى على الرغم من اعتقادى بأن هذه الابحاث عقيمة غير مثمرة مقتنعة تمام الاقتناع بأنها مفسدة لنظام العقل الانسانى. فإن الخلط بين الذاتيات والموضوعيات، خلط فى الواقع بين كفايات العقل البشرى، ما تنتج إلا نتائج تساويه تهويشاً واختلاطاً.

لهذا أبعد القارىء عن التردى فى مثل هذه الجمأة الفكرية وأرجع به الى

نظريتين دافع عنهما سير لودج جهد مستطاعه، وأمعن في شرحهما إمعاناً لا مبرر له في نظرنا إلا عجزه عن اثباتهما بالأسلوب العلمي . الأولى نظرية تناسخ الارواح ، والثانية نظرية الروح وحلولها في الجسم البشري عندما بلغ من التدرج النشوي مبلغاً ما .

وقبل ان نشرح لك ما يرى سير لودج من رأى تلقاء هاتين المشككتين الكبيرتين ، نمضى في شرح بعض نظرياته التي اراد أن يوفق من طريقها بين العقل وبين الدين . ولانرى من مثال نصربه لك على المنحى الذى انتحاه هذا الملامه الكبير، الا بما حاول أن يعال به نظرية آدم ونظرية الخطيئة ، وقال فى آدم ص ٣٤ مايلي :

« لقد مضى خلال الادوار النشوية التي قلب فيها الانسان ، عهد تحقق فيه انه اصبح حراً في تحديد افعاله وأعماله . ولما حقق هذا عرف بالضرورة معنى الخير ومعنى الشر وفرق بينهما ، واستطاع أن يختار اى الطريقين يتبع ، وأدرك بوجدانه وغريزته الفرق بين الخطأ والصواب ، ومن ثم أخذ يستخدم القوى التي حبته بها الطبيعة . ومن طريق هذه القوى امكنه ان يدرك العظمة ، كما امكنه أن يدرك الخطا ، التي تترتب على هبة الحرية ، ووقف لأول مرة على العلاقة التي تربطه بيولوجيا بالحيوانات ، ونفسيا بالآلهة »

« وهذه القوة الادراكية العظيمة التي استطاع الانسان ان يكون من طريقها حراً مختاراً ، وهي ظاهرة من اخص ظواهر انسانيته ، لا بد من ان تكون قد اشعت اضواؤها القوية فى عقل نابغة عبترى من افراد النوع البشرى ، وكان شاعراً أو عرافاً أو كاشفاً للغيب ، نفثت فيه ازواح الحيوية موحياتها بقوة وصلابة . فهل نستطيع ان نسمي هذا العراف « الرجل الاول » الذى نفث فيه الروح القدسي فأصبح روحاً حياً ؟ وهو بالطبيعة لا يعنى « بالرجل الاول » سوى آدم .

ثم قال فى ص ٣٥ ممايلي

« ولا مشاحة فى أن العصر الذى تلى هذا الحادث هو عصر « الخطيئة »

لان الانسان لا شبهة قد برهن اذ ذاك على أنه غير جدير بقوة الكشف التي أعطى اياها، والتي كانت نتاجا لرقبه واستعلائه .»

ثم قال في ص ٣٦ — « اما وقد تزود الانسان بهذه القوة ، القوة على فعل الشر ، فانه اخذ يستخدمها فخطأ وهوى . وهنا دخلت الخطيئة في تاريخه ، وهي عمل ما تدرك انه خطأ . اما قبل هذا العهد فان الانسان عاش بريئاً نقيّاً صافياً كالحيوّانات ، وفي حالة لا يتحمل فيها مسؤولية ولا يعرف فيها معنى البراءة . وتلك حال كان لا بد من ان يخرج منها الانسان ليلاج عالم المعرفة والاحزان ، اذا ما كان من الضروري ان تتطعم الصورة الحيوانية بروح قدسية تثبت فيها » هذا هو آدم لودج وهذه هي خطيئة الانسان في نظره . وهذه اقوال تبعد عن الاساليب العلمية بقدر ما تبعد عن مفهوم آدم والخطيئة كما عرفها الاديان جميعا . بل هذا كلام تقبين فيه من أثر الطفرة مالا يقبله العلم النشئ الحديث . وعلى هذا نجد أن سير لودج عالم رياضي فيزيقي نشئ ديني اسطوري في آن . ما بعد هذا نشرح لك نظرية سير لودج في تناسخ الأرواح . ولا ريبه مطلقاً في ان معتقده في تناسخ آت من طريق معتقده في الأرواح وفي مخاطبتها واتصالها بهذا العالم . فهو يعتقد بان الروح ينتقل من جسم الى جسم وانه يتطهر في سرى تناسخاته الكثيرة لينبع في النهاية الى الدرجة التي يكون عندها قادرا على الاندماج في الحقيقة الأخيرة . وهذا معتقد قديم عرفه اهل الهند ومصر القديمة واليونان . معتقد لم يقم عليه دليل علمي ولا شبه علمي بل هي ملاسبات عقلية لا دليل عليها ولا برهان يزكيها .

وهنا نسائل سير لودج كيف تختلف الأمم من حيث الأخلاق وتختص كل أمة بطابع معين لا تشاركها فيه أمة أخرى اذا كانت الارواح تعود الى هذا العالم ثانية لتتقمص ابدانا ليس لها اختيار في تقمصها ؟ وهل الجسم يؤثر في الروح بما يحدث اخلاقا بعينها ؟ واذا صح هذا فكيف يتأثر الخالد بالفاني ؟ هذه مشكلات لا نظن أن سير لودج يجد في دفعها من السهولة ما وجد في اختراع فكرة آدم ثم نعود الى النظرية الثانية . فنجد أن سير لودج يسلم بان الانسان يمت إلى

عالم الحيوان بأدنى آصرة وأقرب نسب ! بل يسلم بأن الانسان حيوان ارتقى فوق
أفقه الاصلى بروح حلت فيه عندما بلغ من النشوء مبلغاً خاصاً . فكأنه يتصور
تصوراً أن الانسان لما بلغ من حسن الترتيب واكتمال النسق مبلغاً خاصاً ،
سكنته الروح القدسية لترفعه فوق أفق الحيوان . واني لا عجب كيف أن سيرلودج
يستطيع التدليل علمياً على أن الروح سكنت الجسم الحيواني بعد أن بلغ مدرجاً
خاصاً من النشوء ؟ بل كيف يستطيع أن يوفق بين الأسلوب العلمى وبين هذه
الاقوال الغريبة التى يرسلها ارسالا في جمل خطابية وأبيات من الشعر ، فيها من
جمال الأسارب وحسن السبك بقدر ما فيها من البعد عن العلم الذى يمثله سيرلودج
في ناحية أخرى من نواحي نبوغه المتضارب الصور الكثير الالوان

* * *

فصل الفلاسفة

The Story of Philosophy : The lives and opinions of the greater
philosophers : By Will Durant

Ernest Ben Ltd. London كتاب نشرته شركة ارنست بن بلندن

لا شك مطلقاً في أن عنوان هذا الكتاب يدل دلالة واضحة على أن
موضوعه غير محدود بحد ولا معين بنظرة خاصة يمكن أن تتخذ قاعدة لبحث
الكتاب . فإن كتاباً يقال في عنوانه انه في « حياة عظام الفلاسفة وآرائهم » .
لا محالة يؤدي الى الاعتقاد لأول وهلة أن قاعدة الحكم في هؤلاء الفلاسفة
اختيارى صرف ، راجع الى مجرد ما يرى الكاتب في الفلاسفة الذين سيتناولهم
من رأى قد يخالفه فيه الكثيرون ممن يكون على درس تاريخ الفلسفة
وحياة الفلاسفة .

فإن كاتباً يختار مثل هذا الموضوع ، مثله كمثل من يحاول أن يحكم في لوحات
خطتها أيدي كثير من الفنانين تختلف أذواقهم ونزعاتهم باختلاف العصور . فإن
حكمه يكون اختيارياً صرفاً لا قاعدة تحكمه ، ولا حدود تحصره . فإذا علمنا أن
الفنانين والفلاسفة ، والقدماء منهم على الاخص ، قد تناوبوا على مدى الازمان
درجات الصعود والهبوط ، فمن عرف منهم في عصر واشتهر أمره وذاع صيته ،

نسى في عصر آخر وأهمل ذكره ، أيقنا بأن الحكم فيمن هم أعظم الفلاسفة أو الفنانين ، بعيد عن أن يتقيد بحكم أو يجري على قاعدة . وما مثل اسبينوزا عننا بعيد . فإن هذا الفيلسوف الكبير بعد أن نسي وأهمل السنين الطوال اخذت مدارس الفلسفة الحديثة تبتم بشأنه مرة أخرى ويكب الفلاسفة والمتفلسفون على قراءة مؤلفاته وتحليل شخصيته وفلسفته . ومن يدري لعل اسبينوزا يحمل في مثل هذه الفورة الحديثة من الآراء ما لم يرو من المذاهب ما لم يذهب اليها ومن التأملات ما كان يبعد عن أن يمر بذهنه أو يخطر بخاطره .

على أنك لا تلبث أن تتأثر بهذه الفكرة من عنوان الكتاب حتى تزيد اقتناعاً بها اذا ما استعمقت فيه وغصت في عبابه الزاخر . والحقيقة أن «ستر» و«بل ديورانت» قد استطاع ان يبعث كثيراً من فلاسفته الذين أحبهم ، بل أعاد الحياة الى الكثيرين منهم . فأنك اذا قرأت ما كتب في اسبينوزا على الاخص أحببت أن تقرأ كل ما كتب اسبينوزا وأن تشارك اسبينوزا آلامه ومسراته . ولا جرم أن هذا أقصى ما يطمع أن يناله كاتب من قارئ . وعندى أن هذا وحده كاف لأن يجعل للكتاب قيمة كبرى وخطراً عظيماً . بل لا اتكأ في القول بأننا في الشرق أحوج ما نكون الى هذا الاسلوب التشويقي الغريب الذي لم يستطع كاتب أن يحظى به حتى الآن . غير أن هذا لا يوازي في نظري خطأ المؤلف في اختيار عنوان الكتاب . ولو اقتصر هذا الخطأ على العنوان وحده ولم يمتد الى صلب الموضوع لما أعرناه التفاتاً . غير أنه امتد الى الباب امتداداً يبرر كل ما وطأنا به من كلام في هذا الكتاب . فمن بين أصاغر الفلاسفة في نظر «ديورانت» ديكارت وليبنز وهيجل ، بيد أن لوك وبركلي وهيوم لم يستحقوا من صفحات «ديورانت» الا مقدمات تمهيدية مقتضبة لا تروى ظامناً ولا تنفع غليلاً .

ومن الجائز أن هؤلاء الفلاسفة وأمثالهم لم يحيو في كتاب «ديورانت» إلا لان اعادتهم الى الحياة أصعب من اعادة غيرهم وأعسر سببلاً . فكأن «ديورانت» عن أحيائهم وبعثهم ، أعمل من بقائهم حيث هم مقبورون في طيات الزمان ، من ضمير عناصرهم الفلسفية بالذات .

أما إذا اتخذت عدد الصفحات التي اختص بها كل فيلسوف من هذا الكتاب قاعدة لقياس العظمة ألقيت أن فولتير أعظم الفلاسفة جميعاً في نظر المؤلف. وإن عظمة نيتشه توازي عظمة كانت. وهربرت سبنسر يوازي اسطوطاليس وباكون وشوبنهاور يساويان اسبينوزا. فلكل من هؤلاء أربعون أو خمسة وأربعون صحيفة. ولفولتير وحده ثمانية وخمسون! وهذه نسبة يقف أمامها الباحث حائراً. بل لا نعلم أي مذهب أو فكرة في الفلسفة من شأنها أن تعلى فولتير إلى هذه المنزلة العظيمة التي لم يدان فيها فيلسوف أو مفكر منذ بدء النائية إلى هذا العصر؟ على أن المستر «ديوارنت» بعض المذر إذا اعتبرنا أن تقديره للفلاسفة محدود بآثارهم الاجتماعية، وتأثيرهم في فروع علم الاجتماع. ولهذا يضع مستر «برتراند رسل» في القمة ويعتبره أكبر فلاسفة الانجليز وأقدر مفكرهم في العصر الحاضر.

غير أنك تعميلاً تستطيع أن تنفي عن أي فيلسوف من عظام الفلاسفة أثره في عالم الاجتماع. وإذا كان هذا هو المقياس الذي اراد المؤلف أن يحدو عليه، فكيف به يضع فولتير في مكان انكره على اوغست كونت؟

على أن الكتاب مهما كان فيه من امثال هذه الهنات، ومهما احتوى من الاشياء التي يصح ان تكون عرضة للنقد، فان مستر «ديوارنت» قد نجح ولاول مرة في تاريخ التأليف في مذاهب الفلسفة في كتابة مقدمة للفلسفة يستفيد منها كل الناس كما ينتفع بها الاخصائيون.

انفصال الجنس في الانسان والحيوان

Sex in Man and animals. By John R. Baker. With a Preface by Julian Huxley.

كتاب طبعته شركة (Routledge and Co.) بلندن. مؤلفه مستر جون باكر.

من أخص ما يمتاز به هذا الكتاب وضوح الفكرة وطلاوة الأسلوب وسلاسته على ما في الموضوع نفسه من استغلاق وعمق. ومن أمتع ما تتمتع عليه في هذا المؤلف الطريف جدة الطريقة التي استطاع بها المؤلف أن يعالج الحقائق التي يمكن بها تفسير ملخصات هذا البحث الذي يعتبر من أحدث ما تناول العلم في العصور الأخيرة.

أما اذا أخذت في قراءة هذا الكتاب . فلا تلبث الا قليلا حتى تعتقد أن سرّاً من أغواق الاسرار التي ظلت من الانغاز المستعصية على الانسان قد أخذت رموزه تنحل أمام العقل رمزاً بعد رمز ، وأبوابه تفتح باباً بعد آخر . على انك اذا فرغت من قراءته تجد أن عقلك قد تأثر بفكرة أخرى حصلها أن العلم الانساني لا يزال أمامه من المستغلات ما يطلب من العقل حلها ، ليبلغ من المعرفة درجة يمكنه عندها أن يتقى كثيراً من الاخطاء التي تتور مباحثه العلمية .

لم تصبح الذكورة والانوثة من الاشياء التي يفصل بينها ذلك التصور القديم الذي كان يوحى اليها بأن الذكر والانثى شيئا من منفصلان انفصالا عنصرياً بعيداً . فقد كشف العلم الحديث انه على الرغم مما هو معروف من ملازمة الذكورة للانوثة أو بالعكس في بعض الحالات ، فإن من الحيوانات ما ينتقل من احدى هاتين الحالتين للآخرى . فإن نوع السمك المسمى « حيزبون » - Hagfish - عند ما يكون صغير الحجم يلوح كأنه جميعه في حلة الذكورة ثم اذا نما لابسته حالات الانوثة . وهناك نوع من صليب البحر - أو نجم البحر - يسمى اصطلاحاً « أسترينا غيبوزا » - Asterina gibbosa - قد يكون ذكراً أو أنثى أو كليهما معاً تبعاً للسن وتأثير الحالات الطبيعية . ولديك أنواع السرطان فإنها عندما تغزوها الساكولينا - Sacculina - لتعيش متطفلة عليها ، وهي من الطفيليات التي تغير كثيراً من صفات مضيفها - Host - فإنها قد تتغير من ذكر إلى أنثى ، بل قد تتغير بعض مظاهر الذكورة فيها وتنقلب إلى أنوثة صرفة . ويقول العلامة بولتزر - Baltzer - ان برقات الدودة الخضراء المسماة « بونيليا » Bonellia تنمو إذا بقيت في الطين إلى انثى كبريات الاحجام ، ولكنها تصبح ذكراً قزمية ضعيفة اذا ظلت عالة في خراطيم افرادها البالغة :

ان اكثر المشتغلين بهذه الابحاث يعتقدون بان الجنس انما يتعين ، وذلك في بعض الاصول الحيوانية على الاقل ، بحالتي وجود أو فقدان تلك الكروموسومات التي تدعى كروموسومات الجنس Sex-Chromosomes في الخلايا الجرثومية Germ-cells . ففي بعض الحيوانات ، ومنها الحيوانات الثديية ، تحتوي أنوية

البويضات الانثوية على كروموسومات جنسية خاصة ، يمكن أن توجد أيضاً في نصف الحيويونات المنوية ولا توجد في النصف الآخر . فإذا اتحدت بويضة بحيويين منوي وكان في كليهما كروموسومات جنسية يكون الناتج أنثى . ولكن إذا اتحدت بويضة فيها كروموسومات جنسية بحيويين منوي خلو من هذه الكروموسومات يكون الناتج ذكراً .

أما في غير الثدييات من الأصول الحيوانية ، كالطيور وأنواع العث ، فإن الخلايا المنوية كلها متشابهة ، ولكن يوجد نوعان من الخلايا البيضية Egg-cells ، في بعضها كروموسومات جنسية والبعض الآخر خلو منها . ومما هو جدير بالاعتبار أن الغالب على مقتعد الطبيعيين أن كروموسومات الجنس لا تعين جنسية الناتج لا غير ، بل أنها ممكن لكثير من الصفات المتورثة ، التي يدعوها المشتغلون بهذه الابحاث « الصفات ذوات الترابط الجندى » Sex-linked كالمعى في الظلام — العشى — والتدمية — وهي نزول كميات كبيرة من الدم من الجسم — وكلا الصفتين خاصتين بالذكور .

وهناك نظرية لتعيين الجنس أكثر ارتباطاً بالوظائف التناسلية وأكثر قرابة لعلم الفزيولوجيا . وتعلل بمديد من النظريات المتخالطة في الكيمياء وفي مقدار الاستعداد لتمثيل الاجسام للأغذية وغيرها .

...

أما القسم الذي تناول فيه المؤلف الكلام في النتائج التي وصلت اليه التجارب في العث والضفادع والحمام والارانب والفيران اذ استطاع المحربون ان يحسبوا في نسبة ما تنتج من الجنسين ذكورا واناثاً فممتع مفيد. ولا جرم ان هذه التجارب سيكون لها قيمة تجارية كبيرة اذا استطاع الباحثون تطبيقها على الدجاج وغيره من الحيوانات الداجنة. ولا جرم انها تكون اكثر قيمة اذا امكن تطبيقها على النوع الانسانى . ولا ريبه مطلقاً في ان الاحتكام في جنسية النسل من طريق العلم قد اخذ يقترب من عالم الانسان خطوة بعد اخرى .

ولقد استعرض المؤلف كثيراً من المشكلات العلمية الدقيقة بكثير من اللباقة

والمهارة حتى ان القارىء ليتخيل انه مكب على قراءة قصة مشوقة، لا على موضوع علمى عويص . ومثالها البحث الذى عقده فى « التناسل العذرى الصناعى » Artificial parthenogenesis والمهرمونات التناسلية ونشوء الصفات الجنسية الثانوية الى غير ذلك من موضوعات العلم العويصة .

وليس فى الكتاب من شىء يرى فيه الباحث ما يخالف اساليب العلم الحديث ، لولا انه عمد الى الصفات «الروحية» يتخذها من الوسائل التى تقرب الجنسين بعضهما من بعض، ويحمل عليها بعض الظواهر الطبيعية فى التناسل . نعم لا ننكر ان المظاهر الخارجية والحب فى عالم الحيوان له اثر فى التناسليات، غير ان هذا الاثر لا يتعدى احكام الروابط النفسية بين الاحياء بعد ان يهبط الميل الفزيولوجى الى درجة العدم . وهذا رأى الاستاذ جوليان هكسلى المعروف . وعندى أن هذا الرأى يمكن تطبيقه على السلالات لاعلى الافراد والازواج فقط . والحق أن اضعف ناحية من هذا الكتاب هى تلك الناحية التى حاول المؤلف أن يتخذ فيها الصفات النفسية كمؤثرات تحدث فى عالم التناسل آثارا ما .

كذلك يعتقد المؤلف أن الفرق بين المرأة والرجل راجع فى الاكثر الى التربية والنشأة . والحق أن الفروق تكوينية تتناول التركيب الجينوى والمضوى . وهذا ما لاشبهه فيه وهو ما يؤيده الاستاذ ارثر طودسون فى كل ما يكتب فى هذا الموضوع



سبينوزا ومذهب مكيا فيلي

للمستشار القانوني السير فريدريك بوللوك



نشر واحد من الاطباء يدعى « بونتكوك » في « لاهاي » سنة ١٦٧٩ رسالة عن خصائص « عشبة الشاي الطبية » أعلن فيها عرضانيته — وهي النية التي لم يحنقها الا ظاهراً — ان يفند في يوم ما « تأليف الملاحدة « سبينوزا » و « هوبس » و « مكيا فيلي » ثلاثة من أكبر الآمنين الذين لم يخلق لهم نظير على وجه الارض . هذا الحكم الذي يستوجب الضحك انما يدخل مع ذلك في عداد الاخطاء التي تتيح لنا معرفة شيء ما . وهو انه لا بد من أن يكون هناك رأى يشترك فيه « سبينوزا » و « هوبس » و « مكيا فيلي » . ومن طبيعته انه يحمل بصفة خاصة السفهاء على قذفهم بالسباب . وهذا الرأى غير نظريتهم في نظام الحكم . واذا كانت لمكيا فيلي نظرية في الحكم فانه لم يضعها في صيغة . وكذلك قلما تشتر على هذه النظرية اذا افتقدتها في معتقداتهم السياسية . فلقد كان مكيا فيلي جمهورياً مقدار ما كانت الجمهورية ممكنة في ايطاليا وكان « هوبس » من أصحاب مذهب الحكم المطلق . وأيد أن ملك انجلترا انما هو ملك مطلق السلطان . وأما « سبينوزا » فإن فكرته في الحرية السياسية وفي التسامح الفكري متطرفة مثل فكرة « لوك » . فقد أعرب صراحة عن ايمانه للحكم الدستوري الذي يدبره القانون (راجع رسالته في اللاهوت والسياسة ١٦٠) . ويلزم التنبيه هنا الى أنه يستدل من مصطلحاته في التعبير أن الديمقراطية تتفق مع تسلط الاقلية) ويتفق رأى الثلاثة مع ذلك في نقطة تثير أكثر من غيرها سخط رجال الاكايروس ، سواء كانوا من الكاثوليك أو من شيعة لوثر أو « كافن » . وهي ان من حق الحكومة أن تكون صاحبة الامر في دارها . وانها لا تستطيع أن تتساهل في وجود أية سلطة منافسة تدعى لنفسها امتيازات الاعفاء من الضرائب وغيرها وتستحوز على مناطق نفوذ خاصة ليس لأحد أن يتدخل في شأنها بحجة أداء

رسالة روحية منزلة من السماء. وإن الشئون العامة ينبغي أن يقوم على تدبيرها سياسة من قوى الكفاية . وليس لأحد من بعد ذلك سلطان . هذا المذهب الذى يصدم الاسس نفسها التى قامت عليها اطماع رجال الدين ويرجع دعاوى الاكليروس وادعاء آتهم إلى قانون مستقل مع جميع مزايه الادبية والمادية قد أثار معارضة أشد بكثير مما أثارت نظريات الاتحاد . إذن فمن الطبيعى أن يوصف أنصار هذا المذهب بالآثمين من جانب كبار القساوسة ومن أشياعهم . وثم نقطة أخرى يتفق عليها رأى الفلاسفة الثلاثة المنضوب عليهم وهي أن أعمال الانسان محدودة بوجه عام برغبات حب الذات أكثر مما هي محدودة بالحكم الصادر من العقل . وبناء عليه فإنه أولى المشرع والسياسى أن يتدبرا البواعث الخسيسة في الانسان قبل تقدير البواعث السامية . وهذا لعمري رأى شديد ربما ثقل احتماله على أغلب القراء المعاصرين إلا أن ما فيه من تشاؤم لا يكفى مع ذلك لحمل علماء اللاهوت على الحكم عليه . فإن أيديهم بعد مغولة بعقيدة الخطيئة الاولى . هذا إلى أن الفارق الوحيد بينهم والذين يكتبون في السياسة من غير الدينيين أن هؤلاء يسلّمون بالقضية دون تفسير في حين يريد أولئك تأويلها . وقد كشف هذا العصر عن كل تدابير الاقتصاد السياسى في مذهب أهل التشدد والجود الذى يعد الانسان بمجرد حيوان يسعى لمنفعته ويكل لفروع العلم الاجتماعى الاخرى أن تقيم البرهان على ذلك .

إلا أنه يلزم التمييز بين المذهب القائل بأن الحكومة تملك في دائرة اختصاصها سلطة روحية وزمنية عليا تتناول جميع المسائل وتشمل جميع الاشخاص والنظرية التى تنفى أن الحكومة تخضع لأية قاعدة أدبية في علاقاتها مع الحكومات الاخرى أو مع رعاياها بل في مسائلها الداخلية نفسها . ولا تمنع سيادة الحكومة عادة ما أسماه « سبينوزا » بالاستحالة الادبية للطاعة أى الفرض الادبى بعصيان أوامر الحكومة في الاحوال الشديدة والاستثنائية . وهذا الفرض يستخلص بالضرورة من المذهب الذى كان التسليم به عاما في القرون الوسطى ونعنى به المذهب الذى يضع الناموس الطبيعى فوق كل قانون وضعى إنسانى بل فوق التعاليم الخاصة للديانة

المنزلة . وليس يراد من ذلك أن الديانة المنزلة لا يمكن أن تتفق في الواقع مع الناموس الطبيعي وإنه حين يعارض هذا الأخير بأحدى الوصايا الآلمية وجب أن يكون هناك خطأ في الموضوع أو في التأويل وأما المذهب المناقض لذلك وهو الذي يجعل الحكومة بمنزلة الحكم الوحيد والمطلق في أعمالها فيطابق عليه في العرف اسم مذهب مكيا فيلي « مكيا فيليسم » . وهي بلاريب تسمية خطأ ولكن قد جرى استعمالها سواء كان هذا الاستعمال مبرراً أو غير مبرر . على أن شراح الناموس الطبيعي في مذهب القرون الوسطى قد عتوا بإضافة أن الشخص الذي يعارض قانون الحكومة بالقانون الطبيعي ويؤوله طبقاً لما عليه عليه ضميره، يتحمل كل مسئولية هذا الفعل الذي يعرض للخطر سلامته وحرية . كذلك كانوا من سلامة الحكم بحيث يتخذون مجرد الاختلاف البسيط في الآراء حجة للثورة . أما يبقى الاختلاف أساسياً بين وجهتي النظر ولو وضعت الفروق البسيطة من هذا النوع في الموضوع الذي تستحقه . واعلم أن « سبينوزا » قد ذكر أخيراً على أنه من أشيع مذهب مكيا فيلي بالمعنى الدارج الذي سبق بيانه . على أن « رسالته في السياسة » معروفة أقل من سائر تأليفه ولا تجمد رسالته في اللاهوت والسياسة اليوم من القراء أكثر مما يجده كتابه « الاتيكا » ولو أن الأمر فيها مضى كان على عكس ذلك . إذن لا يكون من العبث البحث فيما إذا كانت هناك حقاً أسباب تدعو إلى عد « سبينوزا » كمؤسس أو مفكر سبق الكل إلى التبشير بالمكيا فيلية التي اكتسبت فجأة صبغة المسائل الراهنة في سياسة هذا العصر .

ومن حسن الحظ أن « سبينوزا » قد أعرب بما لا يترك مجالاً للشك عن رأيه في كتب « مكيا فيلي » الصحيحة . وعادة « سبينوزا » أنه أقل بكثير من سائر معاصريه إحالة للقراء على المؤلفين وهو إذا فعل فأنما يدل بذلك على تقديره واحترامه الخاص للمؤلف الذي يذكره . وفي آخر الفصل الخامس من « الرسالة السياسية » فقرة كاملة عن « مكيا فيلي » ونحن نعرضها على القارئ :

« بسط المفكر البار « مكيا فيلي » بأفظة الوسائل التي ينبغي أن يستعملها أمير مدفوع بمحض الرغبة في التسلط لكي يقيم سلطته ويحفظها . وإذا كان

غرضه حميداً وهو ما ينبغي أن نعتقده في رجل عالم مثله فقد شاء في الظاهر أن يدل على خطأ أولئك الذين إذا ارادوا عزل طاغية ولم يستطيعوا القضاء على الاسباب التي تجعل من الامير طاغية يعملون ضد ما يقصدون اليه حين يستعينون بوسيلة لارهاب الامير . وهو ما يتفق حدونه عند ما يضرب الجمهور المثل لذلك فيعدم الامير ويفخر بقتله كما يفخر بعمل محمود . (١)

« ومن الممكن ان يكون قد اراد ايضاً ان يبرهن على مقدار ما هو مفروض على الاحرار من الحذر في تفويض امر سلامتهم إلى فرد ان لم يبلغ به الغرور الى حد ان يحسب ان في وضعه ارضاء الجميع فانه لا بد من ان يعيش في خوف دائم من المؤامرات وهو لكي يحمي نفسه من شرها يشرع في التآمر ضد شعبه بدلا من أن يفكر في خيره . واني محمول على أن أرى هذا الرأي في ذلك المؤلف البصير . مقدار ما كان على الدوام نصيراً للحرية ومقدار ما قدم من نصائح نافعة في وسائل الدفاع عنها . »

وقليل من القراء المحدثين يتفقون مع هذا التأويل لمذهب مكيا فيلي . وإنما نحن الآن نعد « الامير » كرسالة غير مفوضة في سياسة الحكم المطابق كما كان يتصورها المؤلف في عصره وفي باده . والغرض الاساسي الذي يرمى اليه في كتابه إنما هو الرغبة في تحرير ايطاليا من السيطرة الاجنبية بالوسيلة الوحيدة الممكنة وهي : تفصيل مستبد ايطالي قوى البأس ظافر . وليكن هذا المستبد « أميراً جديداً » أي معتصب لا يحجم عن شيء ولا يرحم عند اللزوم فليس كل ذلك بالامر الذي يمكن أن يستحق الاعتبار بالقياس إلى الحسنات التي يحققها باخراج الامراء الأجانب . أما من جهة التفاصيل فمن الممكن أن تكون خير صيغة تعطى لفرض مكيا فيلي في هذين السطرين وهما بيت شعر من قول « مارفل » :

« ان الفنون الواحدة التي تربح المعركة يجب أن تعتمد على القوة وتحوزها »

(١) يحتمل أنه يشير الى الشؤون الانكليزية . فقد رأى سينوزا في رجوع الملكية الى انكلترا حركة رجعية على أن الثورة الكبرى لم تفد أية فائدة . ولا ندري من هم مبلغيه الذين ساقوه بذلك الى الخطأ . وعلي كل حال فانه لا يفضل عديد من الانكليز في المصادر التي استقى منها معلوماته عن الثورة الانكليزية

وليس غرضنا في هذا المقال أن نهتم للخطأ الذي وقع فيه « سبينوزا » :
والامر الجوهري أنه لم يكن ميالا كل الميل الى ان يعد « مكيا فيلي » كمدافع ومجند
للمكيا فيلية بالمعنى الدارج لهذه التسمية وانه آثر ان يعطى كتاب « الامير »
تفسيرا آخر ولم يعرف مع ذلك ان يشرحه شرحا وافيا كما يستدل من عباراته .
وليس من الممكن انكار ان « مكيا فيلي » انما قصد الى التوسع في شرح
مبدأ القانون الروماني العام الذي يقول بان « سلامة الشعب فوق كل قانون »
وقد اراد ان يخص بذلك الأجانب المعتدين على حرية ايطاليا . غير انه لم
يكن من هذه الوجهة مستندا . فان رأى القائل بأن لا شأن لقواعد القانون
الأدبي الخاص بالشئون العامة قد شاطره فيه علماء اجلاء سبقوه بزمان طويل . وأتى
به ايضا المؤلفون الذين جاءوا من بعده بحجة زمنية طويلة دون ان يكون هناك
ما يدل على أنهم اقتبسوه من « مكيا فيلي » . وحتى القتل السياسي كان « طريقة
معترف بها ومتبعة من الحكام المعروفين بالاستقامة والتقى » وتولى الدفاع الجدى
عنه اللاهوتيون وهو ما اثبتته النورد « اكتور » فى تصديره لكتاب (الأمير)
مستندا على امثلة عديدة ، وهذا لا بد من التمييز . فان قرارات التنفيذ التى تصدر
بلا أية صيغة للاجراءات القضائية تجرح شعورنا الحديث بالعدل الا أنه لا ينبغي
أن تعد سوى حد أقصى من المصادرة . ومتى كانت هذه القرارات سرية فانها
تكون شرا من قوانين الحرمان من الحقوق المدنية فى التاريخ الانكازى .
وليس قرار المصادرة الانكازى الذى يصدر بمقتضى قانون يضعه البرلمان مع مراعاة
جميع الاصول القانونية المتبعة سوى امتياز قانونى — وان يكن مهمونا — مثل
إعلان حبس أموال الدوق دى مالبورو الذى صدر نقضا لقواعد القانون العام
فى الملكية . واذا كان الحكم بالاعدام الذى يصدر بصفة استبدادية من مطلق
السلطان غير قانونى فليس فى معنى خرق القانون إذ ليس ثمة أصول تخالف
أو تخرق فى الدائرة التى تقوم فيها إرادة الامير . مقام القانون . هذا إلى أن الحكم
بلا قضية لم يكن مجهولا فى قانون القرون الوسطى . فلم يكن يحق للمجرم الذى
يقبض عليه متلبسا بالجريمة ويوجد ضده شهود عدول فى انكاسترا حتى القرن الثالث

عشر أن يطالب بحكم قضائه ولا أن تراعى بازائه الأصول القضائية فتى كانت الجريمة ثابتة بطل حقه في الاعتراض واتبعت قاعدة *loc non protest deducere* التي كانت تقرر بتنفيذ جزئي . وكان الممكن أن يعد الاحرام الذي هو عمل قضائي عام كافيًا في نظر امير مطلق السلطة لأن يتخذ دليلًا لا جدال فيه على الادانة بحلل عدم مراعاة الأصول القضائية امام محكمة ادلية . ويلزم ان يضاف الى ذلك ان الضحية تكون في احوال متعددة واقعة تحت طائلة الحكم الصادر من الكنيسة . « الا يكفيكم اني حكمت عليه ؟ » . (العبارة الماثورة) . والحامي الذي يجد من ضميره ما يسول له القضاء الجزئي على الأشخاص الضارين يجد بالحرى من نفسه ما يسول له انكار وجود فروض بين الماوك بل تبرير وجوه الاعتداء على الايمان العام . ومن الثابت على كل حال ان (سبينوزا) لم يدافع في أى موضع من تأليفه عن تلك التماخذه السياسية الخاصة ولم يوافق عليها .

ولننتقل الآن الى آراء « سبينوزا » في حقوق الدول ذوات السيادة والتزاماتها . ويجب أن نخص بنظرنا مصطلحاته في التعبير التي وان شابهت مصطلحات « هوبس » دون أن تكون صوغاً لها تختلف كثيراً عن المصطلحات التي كانت مستعملة في عصره وهو ما يمكن أن يفضي الى التباس عظيم . ولا يخلص من افتراض أنه تعمد ذلك . وأما نظريته العامة فانها مبسوطة في الفصل السادس عشر من رسالته « في اللاهوت والسياسة » وفي الفصول الثاني والثالث والرابع من رسالته في « السياسة » حيث ذكر أنه يعود إلى الموضوع نفسه لمجرد أن يسهل مهمة القراء . اذن نستطيع أن نسلم دون أن تكون حاجة الى مقابلة النصوص بالدقة بأنه ليس ثمة أى اختلاف جوهري بين الاثنين .

وان أبلغ صعوبة من ناحية المصطلحات انما تتأتى من أن « سبينوزا » أبى أن يستعمل هذا التعبير « القانون الطبيعي » بمعناه المألوف . ولقد كان له حتى في خلافاً حركة الاصلاح (القرن السادس عشر) معنى صريح ومقرر بوجه عام . ويراد به على الاخص مجموع القواعد التي يمكن أن يرشد اليها العقل البشري وتكون عمدة لسلوك الانسان من حيث أنه مخلوق مميز بالعقل . ولم ينف « هوبس »

وجود مثل هذه القواعد ولم يعترض أى اعتراض على الاصطلاح وان كان قد اختار أن يدل عليها باسم مبدأ المحافظة على النفس .

قال فى الفصل الرابع عشر من كتابه « ليفيathan » : « ان سنة الطبيعة التى يطلق عليها العلماء عادة اسم القانون الطبيعى انما هي حرية كل انسان فى استهلاك مقدوره حسبما يشاء فى سبيل المحافظة على ذاته وبالتالى يعمل كل مايرى بشاقب فكره أنه خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية » .

وتبدو وجهة نظر « هوبس » لأول وهلة مشابهة لوجهة نظر « سبينوزا » الا أن المراد بالطبيعة دائماً عند هذا الأخير، انما هي طبيعة الاشياء يقصد بها الى الكلى . كذلك لا يراد بالقانون الطبيعى سوى الامكان أو حرية كل شىء كامل وقادر على العمل والحياة وفعل كل ماتتيحه له أهليته : أى مجموع الكفايات الطبيعية التى لا هي فى ذاتها صالحة ولا طالحة . فان مطامع الاسكندر وشهوات سمك الكراكي وقابلية الاوكسيجين الى الاتحاد بالفحم كل هذا يقع تحت تعريف القانون الطبيعى . وليس من المحقق أن « سبينوزا » قد تصفح كتابا فى القانون الرومانى أو سمع حديثاً عن « القانون الذى تلقنه الطبيعة لجميع المخلوقات الحية » هذا رأى الوخيم العاقبة الذى أتى به أحد أساتذة البيان من الاغريق وتناوله من بعده الفقيه الرومانى « اولبيان » وورد فى قوانين الامبراطور « يوستينيانوس » قد أعضل الشراح وأجهدهم . ولو أن « سبينوزا » قد اهتدى اليه لكان من الممكن أن يتقبله على أنه مستند يؤيد نظريته الا ان حاجة المفكرين فى القرون الوسطى الى الاستناد على نص موثوق به فى تأليف السابقين لم تكن من دأبه ولا من طريقة تفكيره . وهو ما أدى الى أن المبادئ التى يطلق عليها عادة اسم القانون الطبيعى اكتسبت فى تعبير « سبينوزا » معنى تعاليم العقل وارشاداته . وانه طالما يعيش الانسان وفقاً لهذه التعاليم فى الامكان أن يقال أنه متقادللعقل ومن الممكن أن يلاحظ من وجهة النظر هذه تشابه هام بين « سبينوزا » — ومن المحقق أنه لم يدركه — ومذهب القانون العام الانكليزى كما صاغه فى القرن السادس عشر علامة مثل « سان جرمان » فى كتابه « الدكتور والطالب »

ولم يكن «القانون الطبيعي» من مصطلحات الفقهاء الانكليز الاولى . أولئك الذين ادعوا لعدم توفر الثقة الكافية فيهم أنهم منقادون للعقل أو «لإبداء العقل» . ولا فرق بينهما في المعنى . وانه في حالة عدم وجود سابقة وحيث لا يخلو التطبيق الجديد لأحد الأصول القانونية من التباس تعين على محامينا البحث عن الحل الأكثر انطباقاً على العقل . لذلك كان في وسع المحامين الانكليز والقراء العارفين بتاريخ القانون الانكليزي ادراك هذا الفارق الطفيف الذي تتميز به رسالة «سبينوزا» في السياسة .

و بناء على ما تقدم يكون معنى الخير والشر من وجهة النظر الادبية اتباع قواعد العقل أو مخالفتها . وأما من الوجهة السياسية فان مقياس الحق ينبغي أن ينشأ في الارادة العامة للجماعة . ولا بد من الاستعاضة عن السلطة القانونية بحقوق الافراد الطبيعية عند الكلام عن الدول ذوات السيادة . والفرد عند الخضوع أحياناً لأوامر الحكومة التي يرى أنها غير منطقية على العقل يختار الضرر الأخف من محو الحكومة والسلطة القانونية . وإذا كان الفرد لا يكون حقاً مالكاً لحرية وقوته إلا إذا كان منقاداً للعقل فكذلك هي الحال بالنسبة للحكومة هذا إلى أن الفرد يحفظ حرية في الدوائر الختلفة التي لا تستطيع الحكومة أن تتدخل فيها حيث تبقى أوامرها بلا تأثير . وما دامت هناك أصول قانونية مرعية فليس في وسع الحكومة أن ترتكب أي عمل ضار . اما انها تنقاد أولاً في أعمالها للعقل فمن الممكن أن تفعل الخير أو الشر وقد تبين لنا أن سياسة صاحب السلطة المطلقة التي رسمها مكيافيلي لم تبد منطقية على العقل ولا هي جديرة بالاتباع .

والافراد أعداء بعضهم البعض ما اتقادوا لرغباتهم وشهواتهم . وكذلك هي الحكومات لولا انها تستطيع كما يستطيع الافراد أيضاً أن تنظم سلطاتها وأن تعيش في سلم . (وهو ما يستخلص من خطأ مذهب الذاتية أو الفردية الذي هو قاعدة كل النظم الحكومية المبنية على مبادئ العقد الاجتماعي في أي شكل كانت ولا شأن لنا هنا في هذا الموضوع) . وفي وسع الدولة المستقلة أن

تقيم الحرب وقتما لمشيئتها ولكنها لا تستطيع أن تبرم الصلح الا بطريق الاتفاق المتبادل

ولم يوضح (سبينوزا) ارتباط العلاقات الودية المجردة * ولا ينبغي أن ننسى أن القانون الدولي والديبلوماسية الحديثة كانا وقتئذ في طور الطفولة * اذ كان لكل معاهدة غرض معين وكانت تؤدي الالتزامات المتبادلة التي تنشأ منها مابقى السبب في وجود المعاهدة من ناحية الموضوع *

« لا يجوز لاحد ان يتعاهد للمستقبل اللهم الا اذا قبل دوام الاحوال السابقة، واذا طرأ تغيير على هذه الاحوال تغير أيضا السبب في بقاء التعهدات . ويجب ان يحكم كل معاهد من جانبه اذا كانت التغييرات المذكورة قد حدثت » (راجع الفصل الثالث من الرسالة السياسية) وهو ما يشبه ان يكون موافقه تامة على مبدأ (Rebusic Stantibus)

الذي لا يترك اى أساس ثابت للالتزامات الناشئة من المعاهدات . ولا بد من ان يلاحظ مع ذلك ان هذا المبدأ معروف في القانون المدنى . فان عقوداً كثيرة تبرم على حساب ان غرضها أو حالة ما تتحقق في تاريخ العقد أو انها ستتتحقق في وقت معين في العقد . وغالباً يكون هذا الحساب ضمناً . ومنذ اكثر من نصف قرن يسلم القانون - في انكاثرا على الاقل - بان عدم وجود الشيء المتعاقد عليه أو تبدده من حيث لم يكن يتوقع المتعاقدان أو زوال الاحوال التي يفترض انها جوهرية يجوز فسخ العقد أو يمنع من ابرامه . وفي الحق انه لو اريد تنفيذ العقد بنصه في مثل هذه الاحوال لاقتضى الامر ان يفرض على أحد الطرفين أو عليها ما التزامات لم يكن في نيتها قط ان يتحملها . ولقد طبقت هذه القاعدة اخيراً على عدة اتفاقات تجارية وملاحية بوجه خاص صار تنفيذها غير ممكن من جراء حجز السفن والمهيات أو حبس المتاع في أعمال للمصلحة الوطنية . واخير من جراء عوائق اخرى ناشئة من حالة الحرب . هذا الى المسائل الاخرى التي تنجم من تحريم المتاجرة مع العدو . واذا كانت هذه هي القاعدة المتبعة بين الافراد فليس ثمة ما يدعو الى عدم اتباعها بين الدول . هذا الى ان حالتها اشد صراحة ووضوحاً فان حق الفرد في عقد تعهدات باسم من يخلفونه انما تحدده قوانين بلاده

في حين ان حق الحكومات في تقييد خلفائها بتعهدات لاجل مسمى أو غير مسمى لا يرتبط باى قانون وضى ولا يمكن ان يبرزه سوى دواعى المنفعة العامة . وفي وسع الافراد الالتجاء الى المحكمة التى تنظر فيما اذا كانت الاحوال الجوهرية التى يرتبط بها تنفيذ التعهدات منطبقة أو غير منطبقة على نص القانون . اما الدول فليس لها أى حكم عام واذا استثنينا المنازعات التى يمكن ان تحل بطريق التحكيم فان حكومة كل دولة تكون بالضرورة حكماً في قضيتها . وكذلك فهى مسئولة عن حكمها كما ان الفرد مسئول عن افعاله فى الحدود التى ترسمها قوانين بلاده . ولا بد من الاعتراف بان « سبينوزا » بسط هذا الموضوع بصفة عامة وفي غير تدقيق . ويستخلص منه بطلان جميع المعاهدات التى تبرم لعدد مسمى من السنين او التى تكون موضوعاً للتقحيح باجراء قانونى خاص او التى تشتل على نصوص صريحة لهذا الغرض . وثابت مع ذلك انه لم يتناول برأيه الاتفاقات المتعلقة بالتجارة أو مشروعات السلم الاخرى .

فان النص يحمل على اعتقاد أنه لم يفكر إلا فى المحالفات الحربية . ولقد كان يرى في رفض ايطاليا السير الى جانب المانيا والنمسا في الحرب الحاضرة يرمز الى الحرية التى احتفظ بها للمتعاقدين في كل معاهدة . وعلى كل حال فليست هذه الفقرة سوى استطراد غير مقصود الى التفاصيل لان كل المعاهدة انما تختص بقواعد الحكومة عامة ولا تتناول العلاقات بين الدول المستقلة .

وقد بحث « سبينوزا » في الفصل التاسع من رسالته السياسية انشاء جمهورية اتحادية تحت نظام اريستوقراطى . على انا لم نعثر فيه على أية اشارة الى الحرية التى تملكها كل مدينة من المدن الجمهورية المتحدة في الانفصال عن غيرها بحجة أن الظروف قد طرأ عليها التغيير . ولا حاجة الى تنبيه القراء الى أنه عنى بهذا الرأى فى البلاد المنخفضة . وليس من باعث على اعتقاد أن سبينوزا كان لا يؤيد مشروعاً قابلاً للتحقيق يقيم العدل بين الدول . على أن الكتاب الجميل الذى ألفه « ويليم بن » المعنون باسم « رسالة في حاضر السلم ومستقبله في أوروبا » لم يظهر إلا في سنة ١٦٩٣ أى بعد موت « سبينوزا » بسنوات عديدة .

ويستنتج من كل نظرات « سبينوزا » السياسية انه مؤيد لنظام الحكم الدستوري الذي يديره القانون وهو في رأيه يعطى خير الضمانات ضد اعتداء السلطة المطلقة التي يباشرها فرد أو طائفة من الوطنيين. ويرى أن التأثير الحسن للمناقشات العامة يقلل كثيراً من الخطر الذي يمكن أن يصيب سياسة البلاد الخارجية من جراء تلك المناقشات. وفي الفصل السابع من الرسالة السياسية أن ترك الاعداء يقفون على مناقشات الحكومة العلنية الصريحة خير من ترك الطاغية يخفي عن شعبه أسرار المنطوية على الغدر. ولوأردنا أن نعطي صورة أكمل لأراء « سبينوزا » لاقتضى الامر تأليف كتاب.



الكهنة المحطمة

عن الجداول لايليا أبو ماضي

شاهدتها كالميت في أكفانه	فوجئت الا عبرة أذريها
مهجورة كسفينة منبوذة	في الشط غاب وراءه ماضيها
نسجت عليها العنكبوت خياطها	وكسي الغبار غلالة تكسوها
اقوت وباتت كالمسامع بعدها	لا شيء يطربها ولا يشجيا
وكأنها في صمتها مشدوهة	أن لا ترى بهتافها مشدوها
لا حس في أوتارها لا شوق في	اضلاعها ، لا حسن في باقيها
فارزح بمرنك يا حزين قاتها	لا تنشر الشكوى ولا تطويها
واذا انقضى عهد التعلل بالمني	فالنفس يشفيها الذي يردىها



على عهد مرلى في ظلها	أبكي عليه وتارة أبكيها
كانت كأن ضلوعها موصولة	باضالعي وسرائري في فيها
كم مرة حامت غرايب الامسى	لتقيت من قلبي الجريح بنيتها
فاذا الا غاريد اللطيفة دونها	سور يصون حشاشتي ويقيها

كم هزنى الشدو الرخيم فساقطت
 فاذا أنا مثل البنفسجة التي
 وكم سمعت خفوق اجنحة المني
 فسكرت حتى ما أعى سكر أمره
 ورأيتني في جنة سحرية
 ولحت احلام الشباب مواكبا
 سر السعادة في الرؤى إن الرؤى
 وكم سمعت ديب اشباح الالهي
 فذكرت ثم محاسنا تحت الثرى
 فاذا أنا كالسنديانة شوشة
 أو كالسفيننة في الضباب طريقها
 شهد الدجي والفجر انى جازغ
 ما إن سمعت أنينه ونشيجه
 روى الثرى ياليت روى في الثرى

* *

يا صاحبي وفي حنايا أضلعي
 ان التي نقلت حكايات الهوى
 كمدينة دك القضاء صروحها
 نعت فريع الفجر وأرتعش الدجي
 لا تعجبا في الغاب من نوح الصبا
 لو تسمعان نجيبها متمشيا
 لعلمنا أن القضاء أغتالها

هم يكتظ الروح بل يدميها
 لم يبق غير حكاية ترويهها
 دكا وكفن بالسكوت ذويهها
 ما كان أهونها على ناعيتها
 وعويها ان الصبا ترثيها
 كالسحر في الارواح يستهويها
 كيلا تبوح بكل سرفيها

الرقوق

أساطير عربية

- ١ -

اساف ونائلا

كانت ليلة عيد الميلاد . وقد اجتمع الدكتور ويلهلم فيريكس المستشرق الهولندي بطائفة من أساتذة جامعة كامبريدج وانضمت اليهم مسز فالستر المساعدة الكيماوية في معمل الجامعة . وكان الضوء الاحمر ينعكس من الموقد على المستشرق الشيخ الذى اقترب بكرسيه الكبير من مصدر الدفء . وأخذ بيده المرتعشة قدح الشاي يتناول منه جرعات طويلة . وجلس المستر هاريزون استاذ الفلسفة يتحدث مسز فالستر عن الفضيلة المسيحية في تقديس عيد الميلاد . وكانت الكيماوية تستمع وتحلم . ولما أشار المستر هاريزون الى الحاد البعض التفت الى أستاذ الفزيولوجيا وكان من أنصار مذهب (داروين) فاكتفى هذا الاخير بأن ابتسم في صمت ولم يعره أى اهتمام . وبقي يدخن في غليونه مصغياً الى مناقشة حادة بين المستر « بلا كبول » أستاذ الآداب والناقد الفنى لمجلة « راوند تيبول » وكان هذا الناقد قد (سمح لنفسه) حسب تعبير أستاذ الآداب ، بإصدار رأى فى رواية (هاملت) . فابت غيرة المستر بلا كبول على الادب أن يقبل رأيا من ناقد فنى فى البلاغة الدرامية . وعد ذلك منه جرأة غير مسموح بها !

اجتمع هؤلاء الاساتذة فى نادى الشاعرة (دوروثى) لتوديعها قبيل سفرها الى الهند وقد اشتهرت (دوروثى) فى كل الامبراطورية البريطانية بأشعارها فى أساطير الشرق . وهى انما أرادت السفر الى الهند لجمع مواد قصة شعرية جديدة ولما انتهت الخادم من تقديم أكواب الشاي عقب عشاء فاخر دعت اليه الشاعرة أصدقاءها تقدمت (دوروثى) الى المستشرق الشيخ الذى قدم لوندرا المهمة علمية وجعلت تسأله عن الهند . وكان الدكتور ويلهلم فيريكس قد أقام بها مدة طويلة . وهو علامة فى اللغة السنسكريتية ، لغة البراهمة المقدسة .

ولما بدأ المستشرق يتحدث عن الهند اضغى اليه بعض اساتذة الجامعة . وكان

المستر بيرى استاذ الفزيولوجيا قد زار الهند والشرق الاقصى . وافاض الدكتور ويلهم في كلامه عن الهند وحضارتها واشعار البراهمة وفلسفة تصوفهم . فاستمع اليه سائر الاساتذة واقتربوا منه بكراسيهم .

واشار المستشرق بالضرورة عند وصف ديانة الهندوس الى الوثنية في آسيا واقترانها باصول المدنية القديمة .

فقال الناقد الفنى . ان الوثنية عنصر جوهرى فى الحضارة القديمة .

فاراد المستر هاريزون ان يعترض على هذا رأى استنكارا لعقائد الوثنية . وقال إن فيلسوفا متدينا لا يقيم وزنا لآى رأى خارج دائرة المسيحية . الا ان المستر بلا كبول أيد الناقد الفنى هذه المرة بقوله ، انه لولا الوثنية وعقائدها لما كانت هناك حضارة قديمة !

فابتسم الدكتور ويلهم واجاب استاذ الآداب بلطف انه يخالفه فى رأيه و اضاف الى ذلك : ان العرب الاولين كانت لهم وثنية ولم تكن لهم حضارة .

فأثار المستشرق بهذا الاعتراض الرغبة فى الحصول على معلومات عن وثنية أولئك البدو الرحل الذين احتضنتهم الصحراء واقاموا خيامهم فوق رمالها المصطهرة وارتسمت امارات الاشعراز والنفور على وجه المستر هاريزون عند سماع كلمة وثنية مقدار ما انبسطت أسارير «دوروثى» التى كان يهيمها ان تقف على معلومات جديدة عن شعر الوثنية العربية .

فقال الدكتور ويلهم فيريكس ان معلوماتى عن وثنية العرب لاتنحدر فى سلم العصور الى ابعد من الزمن الذى سبق ظهور النبي محمد . فان اولاد اسماعيل بن ابراهيم حين سكنوا مكة كان لا يظعن بهم ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباية بمكة فحينما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصباية بالحرم وحبا به .

ثم أفضى بهم ذلك الى أن عبدوا ما استحبوا واستبدلوا بدين اسماعيل عبادة الاوثان . وهذا حديث المؤرخ العربى (ابن الكلبي) فى كتاب (الاصنام) .

فسأل الناقد الفنى : وكيف كانت عبادة الاصنام عند العرب ؟

قال المستشرق الهولندي : إني أروى لكم قصة وثنية عربية تستخلصون منها بعض معلومات ثمينة عن عبادة الأصنام عند العرب قبل الاسلام .
فتأفف الأستاذ هاريزون وقال : أنتهم ليلة عيد الميلاد بقصة وثنية ؟
فابتسمت الشاعرة (دوروني) وقالت له : إني أجعل شعورك الديني ، ولكني ألاحظ أنها مجرد معلومات تاريخية .

قال الناقد : إنها أقرب الى الفن منها الى التاريخ .
قال المستر بلا كبول : اننا اذا جردنا الآداب من أساطيرها ورموزها الوثنية فقدنا شيئاً كثيراً من رقة البلاغة وحلاوة الوقع .
وأضاف الدكتور ويلهم قوله : ولا تنس علاقة التاريخ بالفوكلور (عادات الأمم)
فقلت مسرّاً : نعم . إني موامة بهذا العلم الجديد .
إذ ذاك قال المستر بيرى في لهجة تدل على عدم المبالاة بالاعیاد وتقاليدھا :
« قص علينا أيها الدكتور الاسطورة الوثنية . »

فروى المستشرق انه ظفر برقوق مخطوطة بالسكوفي ترجع الى ما قبل الهجرة وقد كتبها السادن (تيم) من (جرهم) يروى فيها قصة (إساف) و (نائلة) اللذين مسخا صنمين فعبدهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة بعد ذلك من العرب .

قال : كان (إساف) بن (يعلى) من أشراف (جرهم) ومن أشجع فرسانها وكان مليح الوجه ظريفاً عظيم النفوذ بين العرب . وكانت جرهم تهابه أكثر مما تحبه . وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة . وجمع الى الجمال قوة العماليق .
شيد له صرحاً في أرض اليمن كعش النسور . ولم يسكنه الا بعد ان أخذ بثأر أبيه ونحمر على قبره الأعرى والسبايا واحتفر للغنم من حوله حفراً ختمها بالحديد .
هذا الجبار الذي كان يتلهى بقتل عبيده في أوقات الفراغ وقع أسير حب (نائلة) بنت زيد من (جرهم) وكانت من أجمل نساء العرب وأكثرهن ذكاء .
نشد الشعر وترك النار مشبوبة حول بيوتها للضيغان . وكان ربما خرج (إساف) للصيد والتحصن فصادف جوارحها يستقن فيسمعنه من أشعارها ما يطربه .

وما كان (إساف) ليأنف أن يقف للناس في الأسواق وهو الزعيم القوي
البأس لكي ينشدهم شعره في (نائله) فشتهر عشق البطل لربة الجمال . وتفتت به
أركان في أرض اليمن . وكان من عادات العرب التفريق بين العاشقين .

فلما أقبلت (نائله) من اليمن لكي تحج الكعبة، كان (إساف) قد سبقها
إلى الحجيج . وكانت العرب تعظم الكعبة وتبالغ في حبها والتبرك بها . وكانت
تضع في جوفها أصنامها المعبودة .

ودخل إساف ونائلة ذلك البيت المقدس حجاجاً . وما كان أشد اشتياق البطل إلى
محبوبته . فاتفق أنهما وجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت : فتقدم إليها إساف
في لفة وقبلها . فصدرت في الحال همهمة مروعة من أجواف الاوثان . فغضب (إساف)
ولعن الأصنام المعبودة . وكانت الأصنام ترمى بالشر من يلعنها .

فلما أصبح الحجاج وجدوها صنمين على صورتها من عقيق أحمر . فمدت
قريش مسخهما فضلا من الآلهة ورحمة . واحتفلت خزاعة بهما ونصبتهما للعبادة
في أرفع مكان بالكعبة . وكانت تتقرب إلى عبادتهما بالهدايا والقرايين . وتنحر
عندهما . وكلما حجت العرب الكعبة تمسحت النساء بالصنم (نائله) وتمسح الرجال
بالصنم المعبود (إساف) وطافوا من حولها

وبالغت قريش في تقديميهما فأقامت لهما منحراً ينحرون فيه الهدايا من النوق العتاق
والشياه السمان . واختارت سدنتهما من مشايخها . وكانت بنات «نائله» السادئات يرسلن
شعورهن ويلبسن المسوح السوداء وينتظرن ظهورها على قارعة النخل مرة كل عام .
وكانت «نائلة» تظهر في صورة شيطانة رائعة الجمال مرسلّة الشعر يركض
بها جواد أشهب إلى مقر الكعبة . فإذا بلغت اختفت وسمع من الصنمين صوت
القبلات المتبادلة . وربما يكون الأعرابي الحاج في تلك الفترة على مسافة ألف فرسخ
من مقر زوجته أو أمته فيشعر كأنه قد قبلها وقبلته !

فضحكت الشاعرة «دوروثي» ضحكة طويلة . وشاركتها في الضحك بعض
الاساتذة . وكسا الأحمرار وجهه مسز قالستر ، إلا أنها لم تلبث أن ضحكت . وبقي الكل
يتحدثون في سيرة «إساف» و«نائلة» .

عبد الحميد سالم

في ثورة أمريكا

خطبة الوطنية الأسمى

باتريك هنري

في مؤتمر المندوبين العام في ٢٨ مارس سنة ١٧٧٥ (١)

باتريك هنري سياسي أمريكي وخطيب ولد في ستودلي - Studley -
بمقاطعة « هنوفر » في ٢٩ مايو سنة ١٧٣٩ . وبعد أن أخفق كل
اخفاق في الزراعة والتجارة ، اهتم المحاماة ، وظهرت شهرته أولا
عند ما دافع في قضية تناولت موارد رجال الدين المالية المشروعة .
ولقد قاوم بكل قوة في مؤتمر الممولين بفرجينيا قانون التسعة سنة
١٧٦٥ وافتتح المناقشات في مؤتمر القارة سنة ١٧٧٤ بخطاب أعان
فيه أمريكياته بأن قال : « لت من أهل فرجينيا ، بل أنا أمريكي »
وكان حاكما لمقاطعة التي ولد فيها مرات عديدة ، واعتزل الاعمال
العامية سنة ١٧٩١ ومات في « ريدميل » بكونتية « شارلوت »
في ٦ يونية سنة ١٧٩٩ .

* * *

سيدى الرئيس :

ليس من يقدر وطنية النبلاء المحترمين الذين خطبوا المجلس الآن وكفالياتهم
أكثر مما أقدرها . غير أن اختلاف الناس يجعلهم يرون الأمر
الواحد في صور مختلفة . ولذا أؤمل أن لا يتبادر الى أذهانهم أنه مما
يهينهم ، ان أدلى بآراء تضاد في طبيعتها آراءهم التي أدلوا بها . وعلى هذه القاعدة،
ساعبر عن مشاعري بحرية وبلا تحفظ . إن هذا الوقت ليس وقت الرسمية .
والمشكلة المطروحة على المجلس هي إحدى المشكلات التي يتوقف عليها مستقبل

(١) ان المبادئ التي دافع عنها ستر باتريك هنري في خطابه الذي نقله هنا لقراء
العصور هي المبادئ التي يحتاج اليها الشرفيون اليوم ليدفعوا العاصفة الاستعمارية التي
تهب عليهم من أوروبا . ولا جرم أن الوطنية واحدة لا تعدد واذا تعددت فالما تعدد
مظاهرها ، أما جوهرها فواحد . ولا شبهة في أن هذا الخطاب فيه جوهر الوطنية ولباها .
غير أن الوسائل يجب أن تختلف عن الوسائل التي دعى اليها الخطيب الكبير اعتبارا لحاجات
الزمان والمكان والظروف السياسية . ولا جرم أن جهادنا المشروع السلمى هو خير وسيلة
ننال بها حقوقنا اذا احتفظنا بلباب الوطنية على ما يجب أن نفهمه

هذه البلاد . أما أنا فلا اعتبرها أقل من أنها مسألة يترتب عليها إما الحرية وإما الاستعباد . وعلى مقدار ما يكون من خطورة الموضوع يجب أن تكون الحرية في مناقشته . وليس لنا طريق غير هذا لنصل الى لباب الحق ، وأن نقوم بعبء المسؤولية التي نحملها أمام الله والوطن . واني لا اعتقد اني اذا حبست أفكاري في مثل هذا الظرف حذراً من أن اسيء لاي كان ، فاني لا اكون أقل من مرتكب لجريمة انليانة العظمى لوطني ، ولعمل ، أقل ما يقال فيه ، انه فارق عن الطاعة لرب السموات ، الذي أبجده واحترمه أكثر مما أحترم كل الملوك الذين هم فوق الارض .

سيدى الرئيس .

انه من الطبيعى أن يتعلق الانسان بأوهام الأمل . ونحن معرضون لان تغلق عيوننا عن الحقائق المؤلمة ، ونظل نصغى الى تلك النغمات التى تتأير بين جوانبنا حتى يأتى وقت تنزل فيه الى درجة السوائم والوحوش . فهل هذا هو الواجب المفروض على رجال اشتبكوا فى معركة حامية الوطيس دفاعاً عن الحرية ؟ هل فرض علينا أن نكون فى عداد هؤلاء الذين لهم عيون ولكن لا ينظرون ، ولهم آذان ولكن لا يسمعون ، تلك الوقائع التى تهدد خلاصهم الدنيوى ؟ أما أنا ، فمهما كن فى ذلك من الألم النفسانى ، فاني مستعد لان أعترف بالحقيقة الكاملة وأن أعيها ، وأن أعرف الأسوأ من الاشياء واتخذ العدة له .

امامى مصباح واحد ينير الى السبيل لا يخطو الى الامام ذلك مصباح التجربة والاختبار . ولا أعرف سبيلاً أحكم به على المستقبل إلا الماضى . فاذا حكمنا بما بلونا فى الماضى من تجارب ، فاني أريد أن اعرف أى شىء ظهر فى سياسة الوزراء الانجليز يبرر لنا أن نستمسك بتلك الآمال والاحلام التى شاء النبلاء الذين خطبواكم من قبل ان يهروا والمجلس الى انوارها ؟ اهي تلك الابدسامة الصفراء التى قوبلت بها مطالبنا الاخيرة ؟ لا تؤخذ بها ايها الرئيس ! فانه سوف تبرهن فى المستقبل على أنها القيد الذى يقيد أرجلنا عن السير الى الامام . لا تؤخذوا انفسكم بحلاوة قبة تنظوى على العداء . سائلوا انفسكم كيف يتفق قبول النظر فى

مطالبنا على هذه الصورة الغريبة ، مع ذلك الاستعداد الحربى الكبير الذى
يفشى مياها و ينظم أرضنا ؟ هل الاساطيل والجيوش اداة ضرورية لعمل يقوم
على اساس الحب والتفاهم ؟ ليس لنا أن نناقش وانفسنا . انما هذه عدد الحرب
وآلات الجلاز وادوات الاخضاع والاذلال . وانما هي آخر ما يلجأ اليه الملوك من
براهين وحجج . انى اسألكم ايها النبلاء ، ماذا يكون معنى هذه الاخذة العسكرية ،
اذا لم يكن الغرض منها أن نخضع ونستكين ؟ هل للنبلاء أن يعينوا الى أى غرض
آخر ، أو أى باعث خلاف هذا ؟ هل لبريطانيا المغطى من عدو في هذه البقعة
من الارض تستجمع له جيوشها وأساطيلها ؟ لا يسيدى ! ليس لها من عدو . ان
هذه القوات تستجمع من اجلنا . وليس من غرض آخر لها سوى هذا ! لقد
أرسلت تستعبدنا بتلك القيود الثقيلة التى حاولت الوزارة البريطانية أن
تقيدنا بها منذ امد بعيد . فبأى شىء نقاومها ؟ بالمناقشات والادلة والبراهين ؟
سيدى

لقد جربنا الادلة والبراهين عشر سنوات طوال . فهل لدينا من جديد نعالج
به المشكلة ؟ لاشىء ! لقد قلبنا المشكلة على كل وجوها المحتملة . ولكن كل
هذا ذهب سدى وذرى مع الريح . هل نلجأ الى الاستجداء ومد اليد للسؤال ؟
واذا فعلنا فآية وسيلة من وسائل الاستجداء نستخدم بعد الذى استخدمنا ؟ وانى
أرى انه لا يجب أن نخدع انفسنا ياسيدى اكثر مما خدعناها .

سيدى

لقد بذلنا كل شىء يمكن عمله لتتق العاصفة التى تكاد تهب علينا الآن .
أرسلنا بمطالبنا . ثم تظاهروا . ثم استجدينا . لقد عرضنا انفسنا على اعتاب
العرش وطلبنا منه المعونة فى أن يرفع عنا حيف الايدى المستبدة التى تمثلها الوزارة
والبرلمان . فمزقت عرائضنا . وزادت مظاهراتنا العنف والجور شدة وزادت
احتقارا ومهانة . أهمل استجداؤنا ونسى . ولم يزدنا الترامى على اعتاب العرش
إلا مذلة وتحقيرا . فكيف يجدى بنا الأمل فى السلم والتفاهم بعد كل هذا ؟ لم
يبق فى قوس الأمل من منزع . فاذا أردنا أن نتحرر ، وان ندفع عن تلك

الحقوق المقدسة التي لا يمكن أن تقدر بشيء في الدنيا غوائل الاستباحة ، وأن
نمضي في تلك المعركة الشريفة التي اشتبكنا فيها منذ زمان طويل ، والتي عاهدنا
انفسنا على أن لا نفر من ميدانها ، حتى نحقق الاغراض التي من أجاءها خضنا
غمراتها ، إذن قالى القتال! انى اكرر هذا القول ياسيدى! نعم الى القتال . وليس لنا
من سبيل إلا السلاح ، والاعتماد على الله نصير اللاحثين .

سيدى

قيل باننا ضعفاء ، ليس فى مقدورنا أن نأخذ بضاع فى مثل هذه الغمرة
الشديدة . ولكن فليخبرونا متى سنكون أكثر قوة ؟ هل نكون أكثر قوة
خلال الاسبوع القادم ، أم السنة التالية ؟ هل سنكون أكثر قوة عند ما مجرد من
سلاحنا ، أم عندما يحتل البريطانيون منازلنا ؟ هل يمكن ان نستجمع قواتنا
بالاستكانة والوقوف موقف السلب الصرف ! هل يمكننا ان نحوز وسائل الدفاع
الشرعى عن حريتنا بان نستلقى على ظهورنا مستسلمين الى خيالات الامل
وأوهامه ، حتى يستمكن منا الاعداء ويأخذوننا بالأيدي والاعناق ؟

سيدى

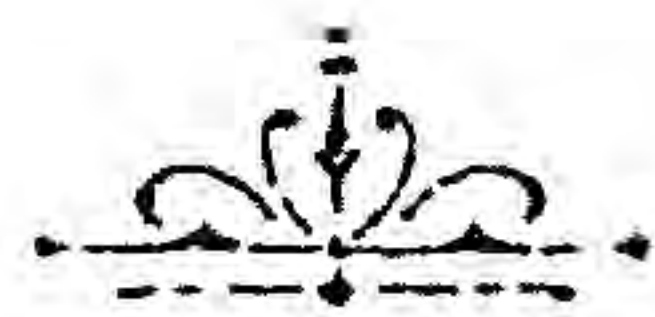
اننا لسنا ضعافا اذا استخدمنا الوسائل التي وضعها الله ، رب الطبيعة ، رهن
أيدينا . فان ثلاثة ملايين من الرجال مسلحين ليدافعوا عن الحرية المقدسة ، وفي
مثل هذه المملكة التي هي ملك لنا دون غيرنا ، لا يمكن كسرهم باية قوة يمكن
أن يرسلها عليهم العدو . وفضلا عن هذا ، فاننا لن نقاتل منفردين . فان من ورائنا
إله عادل يهوى للامم غاياتها ، وسوف يرسل اليها باصدقاء يمدون لنا يد المساعدة
في معاركنا الشريفة .

ان النصر ياسيدى ليس للقوى وحده . أنه من نصيب المؤمنين والعامل والشجاع .
كما واننا ليس لنا اختيار فى هذا . واذا فرض وكنا من الانحطاط بحيث نختار
الاستكانة ، فاننا قد تأخرنا كثيراً فى التقهقر عن القتال . أما التقهقر فلا معنى
له إلا الخضوع والعبودية . ان الاصفاة فى انتظارنا . أن صلاصاتها تسمع فوق

وديان بوسطون ! لا مفر من الحرب ! ولتأت بويلاتها ! أقول (لتأت) مكرراً ، شديد
الايان بالنهاية ..

سدى ياسيدى يذهب كل بنهود لتقف بلا قتال . ان الاصدقاء قد يصيحون
السلام ! السلام ! لاسلم ولا سلام . لقد بدأت الحرب بالفعل . فان العاصفة التى
ستهب فى الشمال سوف تنقل الى آذاننا قرع السلاح . ان اخواننا فى الميدان .
فلماذا تقف نحن هنا مكتوفى الأيدي ؟ ماذا يريد النبلاء بعد هذا ؟ ماذا يرجون
أن ينالوا ؟ هل الحياة غالية الثمن ، أم ان السلام حلم لذيد ، لنشتري كلاهما
بالاصفاد والعبودية !

انى لا أعرف أى طريق يلد لغيرى السير فيه . أما أنا فأقول (دعنى حراً
أو دعنى أموت) .



لماذا اشتهرت أميريكاً

فى الحرب الأوروبية الأخيرة

اذا تركنا الكلمات الجوفاء التى يستعملها الساسة جانباً وبحثنا فيما يسمونه
القانون الدولى وراجعنا حوادث العالم قبيل نشوب الحرب تيسر لنا الوقوف على
شيء من الحقيقة .

رصاص دمدم

اجتمع مؤتمر السلاح قبيل الحرب بسنين وفيه طرح موضوع وجوب منع
استعمال رصاص دمدم فى الحروب فاتفق الحاضرون على ذلك ولمسكن أبدت دولتا
بريطانيا وفرنسا تحفظاً يحجز للامم المتحدة استعماله عند مقاتلة الامم الملونة
الهمجية . فاعتماداً على هذا التحفظ استعمل الالمان هذا الرصاص ضد أعدائهم على
أساس أن الامم الأوروبية المحاربة لدول الوسط استوردت قوات كبيرة من
الهند ومن السنغال وغيرها من بلاد المتوحشين وكانوا يؤلفون الكتلة الساحقة
من الجيوش المعادية لمانيا فلما أرادت أميريكاً أن تتدخل فى الأمر بحجة أن

الريصاص المذكور يصيب البيض كما يصيب الملونين أجاب الالمان بأنه يجب والحالة هذه فصل الفرق البيضاء عن الملوثة وترك كلا منهما تعمل في ساحة وحدها وبالطبع لم يهتم الحلفاء بهذه الملاحظة فامطروا دول الوسط رصاصاً منه في حين لم يكن بين جيوشها ولا عسكري ملون واحد . فلم تحرك أميريكاسا كناً .

السفن والبضائع المحايدة

عقد اجتماع دولي للبحث في هذا الموضوع فقالت بعض الدول إن البضاعة الخاصة بأمة معادية اذا وجدت على مركب محايدة تصبح ملكاً حلالاً للعدو واذا عثر عليها في السفينة المعادية تصبح ملكاً للعدو بما عليها من البضائع . فزادت أميريكاسا على ذلك قناعة : « المملوكة للعدو فقط وأما المملوكة لمحايد فتد أو يعوض عنها » أما من النقطة الأولى فكان رأي أميريكاسا أن المركب المحايدة هي كالارض المحايدة غير قابلة للتفتيش بأي حال من الاحوال . فلما ضيق الحلفاء الحصر البحري على المانيا صارت الممالك الاوروبية الشمالية المحايدة تحمل المؤن خصوصاً والذخائر للمحاصرين على مراكب محايدة فكان الحلفاء يصادرونها . وليس هذا فقط بل زاد الامر لدرجة أن بريطانيا كانت تمنع من استيراد دول الشمال لمؤن أكثر من الكميات التي كانت تستوردها قبيل الحرب ولم تحاول أميريكاسا المحايدة أن تقرر وجهة نظرها عند ما احتج لديها الشاليون في ذلك .

المنطقة الخطرة وضرب المراكب بعد انقاذ الارواح

يعرف القانون الدولي شيئاً اسمه المنطقة الخطرة ويحتم على الدول المتحاربة اعلان الامم المحايدة عن تلك المناطق مع ارشادها الى الامكنة الميسور للمراكب المحايدة والغير حرية المرور منها . فما كان من المانيا الا ان طوقت الجزائر البريطانية بمنطقة خطر بعد ما تركت ممراً في أقصى الجنوب الغربي من انجالترا للمراكب المحايدة والتجارية وكان هذا الممر يؤدي الى شاطئ وعراً لا تجمع به بداخل الجزائر البريطانية . واصلات ما فكانت الغواصات تصرب كل سفينة تعثر بها في منطقة الخطر . معتبرة انها خطرة فعارضت انجالترا في ذلك مدعية أن المنطقة الخطرة هي فقط التي ياتى فيها العدو الغامض لاعمال حرية أو لعاقة الملاحة وحصر العدو وأما

الفواصات فهي سفن يجب عليها أن توقف السفن وتفتشها ثم بعد ازال الخلائق يصبح لها أن تفعل بها كيف تشاء . فردت المانيا فائلة ان هذا تريف لما كان يحصل يوم لم تكن الفواصات معروفة وانها تفهم ان منطقة الخطر هي التي لا يجب على المراكب المحايدة والتجارية المرور فيها الا على عهدتها فمرزت أمريكا وجهة النظر البريطانية ولما لم تكف الفواصات عن عملها سلحت البواخر التجارية وبذلك صارت هذه البواخر في نظر الالمان حرية لانها مسلحة فكانت تضر بها داخل وخارج المنطقة المذكورة

قاعدة منرو

كان منور رئيس الولايات المتحدة قد وضع قاعدة هي أمريكا للامريكانيين وصرح رسمياً ان اى تداخل اجنبى فى شئون الدول الامريكية يعد تحدياً صريحاً للولايات المتحدة وعملاً عدائياً فظهرت انجلترا انها لا تمنع اذا خرج ما يمتلكه فى القارة قبل وضع هذه القاعدة عن هذا الحكم واكتفت فرنسا وإيطاليا وأسبانيا بان تكون امريكا الجنوبية لاتينية واما المانيا فقد احتجت عليه ولانها وجدت سوقاً لبضائنها رابحة فى جنوب القارة وبدأت تنشر نفوذها هناك فلما شرت الحرب ساعدت الولايات المتحدة الحلفاء سلبياً وأديباً ولكن تفوق المانيا عليهم اضطرها الى التداخل الفعلى

عمر عنابت

بين الصحف والمجلات

فى الشرق والغرب

« النقد خير وسيلة لتعويد الفكر على الابتكار ، بل هو طريق الاستقلال الحقيقى . والمصور مع احترامها لرأى رصيفاتها لا تجد عيباً ، عن ابداء رأيها ورأى قرائها فى الموضوعات التى تشغل العالمين الشرقى والغربى ، حبا فى الفائدة وابتغاء الاصلاح . »

* * *

١ - لـلال : مصر

(١) من مقال بعنوان « النور الجديد » لهيكل بك

السياق قوى والحجة يكاد يسيغها الانسان كما يسيغ شراباً لذيذاً . والاسلوب سهل فيه جمال ودقة فى التعبير . والذى فهمته من هذا المقال أن قلة الايمان بما كان يستمد الانسان « مما فوق عقليته » قد أحدث قلقاً نفسانياً يشعر به كل المفكرين ، وأن المفكرين باعتبارهم قادة الدنيا وهداة السواد من الناس ، قد لقحوا العامة بما يشعرون من قلق وفوضى . وأن الهداية سوف يعثر عليها التأهون القبلقون فى جوانب الشرق ، لانه منبع الهداية الروحية منذ أبعد الازمان . أما السبب الذى أحدث هذا القلق النفسانى فتهديم العلم لما كان قائماً حول الغيبيات بصورها من أساطير وخرافات اطمأن لها الناس أزماناً طويلاً . أما واجب الوجود - الله - فإن الفكرة فيه لا تتغير فى المستقبل عما كانت فى الماضى . أما الذى سوف يتغير ويتبدل فما يلى ذلك من المعتقدات التى بشرت بها الاديان على اختلاف صورها وتباين مناحيها .

هذا ماخص ما فى المقال الذى صبه الصديق هيكل بك فى قالب جميل الصورة حتى ليخيل اليك أن الفكرة فى واجب الوجود سوف تظل فى المستقبل كما كانت فى الماضى ، وأن الانسان إنما يجد حقيقة فى سبيل الحصول على فكرة

يطمئن اليها في العلاقة التي تربطه بواجب الوجود مغايرة لفكرة القديمة التي عشت فيها الاساطير والخرافات . والحقيقة التي أعتقد بها أن الفكرتين ، فكرة واجب الوجود ، وفكرة علاقة الانسان به ، قد تغيرتا بالفعل عما كانتا في الماضي تغيراً كاملاً في العصر الحديث لاول ولا آخر مرة في تاريخ الفكر البشرى .

لم تحدد الاديان فكرة كرامة في واجب الوجود يرضى بها العقل المستقل في دور ما من أدوار النشوء الفكري . بل ان الاديان ألزمت الناس فيما ألزمتهم به الاعتقاد بوجود الله متخذة من سلطاتها الاستعلائية مبرراً الى هذا الالتزام . وحدد كل دين ربه أو آله على مقتضى المبادئ التي نزل بها الكتاب الذي يتخذ نواة له . فالاله الذي يعرفه كونفوشيوس مخالف تماماً للاله الذي يعرفه بوذا ، وكلاهما مخالف تماماً للاله زرادشت . وآله التوراة الذي يقول - « لاني أنا الرب آلهك ، آله غيور ، أفقد ذنوب الآباء من الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبعضى ، واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي » - مخالف تماماً للاله الاناجيل ، بل مباين للاله مزامير داوود ، على قرب النسب بين التوراة والمزامير ، وكل هؤلاء مخالفون للفكرة الآلهية التي بثت في القرآن .

وكل الاديان سواء في تصوير آلهتها بصورة ترضاها منازعها . إذن فلم يكن ثمة من فكرة عامة في واجب الوجود ارتضتها كل الاديان . فمنهم من علم الناس على أنه ذات متحيزة ، ومنهم من قال بأنه قوة ، ومنهم من قال بأنه فكرة ، ومنهم من رمز له رمزا ولم يقل فيه شيئاً . أما الفلسفة الجديدة فقد اهتمت الى فكرة جديدة لانظن أن الاديان تبغضها ، كما لانظن أن العلم لا يرضاها . ذلك أن وجود واجب الوجود فرض الزامى لا يمكن للعقل أن يحتفظ بألفته من غير أن يؤمن به . هذه هي الفكرة التي خلص بها العقل الانساني من جهاده الماضى الطويل . وهي فكرة على الرغم من أن الاديان لا تبغضها كثيراً وترضى عنها المنازع العلمية ، حددت علاقة الانسان بالله تحديداً غير تام ، ولكنه مرض على كل حال .

أما تفكير الانسان الجدى فأصبح في تحديد علاقته ، لا بواجب الوجود ، ولكن بالكون . فبعد أن اسقط العالم الانسان عن عرش الملائكة العلوى ، وانزله

الى افق الحيوان ، اخذت الانسان فكرة جديدة ليست بأقل اشكالا من الفكرة التي ملكت زمامه من ناحية الاديان .

بعد أن أظهر النشويون اصل الانسان الحيوانى واثبتوه علميا ، وبعد أن اثبت الجيولوجيون قدم الارض ، والفاكيون قدم النظام الشمسى ، واظهر هؤلاء بابحاثهم سلسلة التدرج الطويل التي مضى فيها الكون لينتجى بظهور الحياة فوق الارض ، وعرفوا أن سلسلة التدرج في النباتات قد انتهت الى ذوات الفلقتين ، وانها انتهت في الحيوانات بذوات الفقار ، ثم بالبريمات وعلى رأسها الانسان ، اخذ العقل الانسانى سمته نحو التفكير ، كما هي عادته ، فيما يختفى وراء هذه السلسلة الطويلة من قصد ، وهل كانت متجهة بكل ما فيها من الصور لان تنتهى بالانسان ، على أنه القصد الأخير منها ؟

هذا هو الاشكال الجديد ، علاقة الانسان بالسكون ، لاعتلاقه بواجب الوجود ، الذي ارتدت سلطته بنسبة اكتشاف العقل لسن الطبيعة الى انه فرض عقلى ضرورى ، وأن سنن الكون أبدية سرمدية .

أما الهدى الذى تبحث عنه الانسانية فينحصر الآن فى الغاية التى ترمى اليها سلسلة التدرج التى انتهت بالانسان : وماذا يكون اذا اظهرنا العلم بان الانسان فى فكرته الحديثة مخطئ ، خطأ يتساوى مع خطئه فى فكرته الاولى التى بشرت له بانه محور الكون وأنه سيد الوجود ؟ على ان فى الفكرة الحديثة لنسبا أدنى إلى الفكرة القديمة . اما الثابت حتى اليوم فليس مما يرضى نزعة التفاؤل فى مصير الانسان ولست ادري لماذا لا يشارك الانسان الحيوانات فى نهاياتها المحزنة ، مادام يشاركها فى بداياتها الجميلة ؟



(ب) من مقال بعنوان « الجماعة من الناس » ، سلامه ، موسى .

لغة المقال عامية تقريبا . أما الافكار المبثوثة فيه فمسبق بها الاستاذ سلامه موسى ، وضعها جوستاف لوبون فى كتابه الذى ترجمه المرحوم فتحى زغلول بعنوان

« بتطور الامم » ولم يبق مما في الكتاب من مبادئ سوى قشور لم تتناولها الابحاث الجديدة بالهدم والتعظيم . ومع هذا يقول الاستاذ :
« نحدد البحث في هذا المقال باننا نريد أن نثبت أن الانسان في وقت اجتماعه يكون احط مما هو في وقت انفراده » .

ما لنا وللإسلوب والتعبير فللكاتب أسلوبه وتعبيراته . ولكننا نريد أن ننبه الاستاذ الى ان الشيء الذي يريد اثباته اليوم لقراء الحلال قد فرغ لوبون من اثباته منذ نصف قرن مضى في الزمان !!

*
*
*

٢ - الجديد - مصر - (العدد ١)

من مقال بعنوان - « السدم » للدكتور على مصطفى مشرفه استاذ الرياضيات التطبيقية بالجامعة المصرية .

نجل في الاستاذ مشرفه علمه الواسع وأدبه الجم . غير أن العلم بالقواعد شيء وامكان نقلها من لغة الى لغة شيء آخر . فالاستاذ محمداً كان متضلعا في علمه متنطسا فيه ، فانه لا يستطيع أن ينقل هذا العلم من اللغة التي تعلمه بها الى لغته الاعلية بسهولة . فان مهنة الترجمة مغامرة تماما لمهنة التدريس ، ولا تكاد تنزل عنها قدراً ، بل نظن أن المترجم أكثر مسؤولية من المعلم

سمعت مرة من احد كبار رجال التعليم انه من الممكن الاكتفاء بقليل من (الافندية) الذين يخرجون الخطابات في وزارة المعارف ليقوموا بمهمة الترجمة العلمية . ويكاد يكون هذا القول مثالا لما يقوم في اذهان الكثيرين من رجال التعليم عندنا فيما هي الترجمة العلمية . والحق أن الترجمة العلمية مهنة لا تدرس ولكنها ملكة تزود المترجم بقدرة خاصة على ادراك المعاني على حقيقتها ، وعلى نقلها صحيحة الى لغة أخرى . وهذا ما لا يتيسر للكثيرين من الكتاب بل وللعدد الاكبر من الاساتذة . واكبر مثال على هذا مقال الاستاذ مشرفه الذي نشر في الجديد .

واليك امثال مما قال : جاء في ص ٢٠ مايلي :

« واول ذكر للسديم الاكبر في « برج الجبار » نجمه في كتابات زاهب جزويتى سويسرى اسمه كيسانوس عام ١٦٨٠ » . وقال في ص ٢١ « وفي عام ١٨٨٠ نجح هنرى دريبر في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الاكبر في برج الجبار » — وقال أيضاً في الصفحة عينها — « ثم أن كمن ورذبرتس خصلاً في سنة ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهرة فيها النظام اللولبي للسديم الاكبر في برج أندروميديا » —

والحقيقة أن الفرق كبير بين ما يسميه « برجا » وبين الحقيقة الفلكية والاصطلاحية . فاذا قلت « برج الجبار » اضممت الى البروج الاثنى عشر برجا جديدا غير معروف ، لاني الشرق ولاني الغرب . فالبرج هو مجموع النجوم الذي يكون عند الافق مدة شهر من الزمان حيث تغيب الشمس . وهذا الاسم هو الذي أطلقه عليه القدماء ، وقالوا ان الشمس تغيب في هذا البرج أو ذاك بحسب غيابها في شهور السنة . وكانوا قد قسموا السنة الى اثني عشر شهرا فقالوا ان البروج اثنا عشر حسب شهور السنة وسموها بأسماء مختلفة وقد جميع بعضهم اسماءها العربية بقوله

حمل النور جوزة السرطان ورعى الابل سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس الجدى نزع الدلو بركة الحيتان

وكان القدماء قد انتبهوا الى أن موقع الشمس بين الكواكب يتغير من يوم الى آخر مدة السنة . ثم يعود في بداية السنة التالية كما كان في بداية التي قبلها وهلم جرا ، كأنها تنتقل في منطقة من الكواكب على مدار السنة أو كأن تلك المنطقة تدور حول الأرض دورة كاملة كل سنة فقسموا نجومها ١٢ قسما متساويا سموها منازل . فكل قسم منها يقابل ثلاثين يوما وسموها بأسماء أكثرها من أسماء الحيوانات . ووصل هذا التقسيم وهذه الاسماء الى اليونان فالسريان فالعرب . واسم البرج في اللغة البابلية « منزلة » فلما انتقل هذا التقسيم الى اليونان سموا البرج « زوداكانيوريا » أي جزء من اثني عشر كما ورد في كلام أفلاطون . وسموها البرانيون في التوراة « متسلوث » نقلا عن اللغة البابلية . والظاهر أن اليونان

استعملوا أيضاً كلمة « برجس » للنزلة من دائرة البروج ، فعربها السريان ومنهم
 نقلت الى العربية كما أثبتته العالم فرنكل الألماني (راجع بسائط علم الفلك لصروف)
 وجرى المحدثون على هذا النظام وعلى هذا التقسيم فالحمل عندهم Aries
 والثور Taurus والتوأمان أو الجوزاء Gemini والسرطان Cancer والاسد
 Leo والسنبلة أو العذراء Virgo والميزان Libra والعقرب Scorpio والرامي
 أو القوس Sagittarius والجدي Capricornus والدلو Aquarius والحوت أو
 السمكتان Pisces

اذن فالجبار ليس برجاً بل هو ما يسمى Constellation واصطلاح على
 ترجمتها بكوكبة أى مجموع من النجوم السديمية .

أما كوكبة المرأة المسلسلة (Andromeda) فقد صورها الصوفي الفلكي العربي
 المعروف بصورة امرأة رافعة يديها كأنها خفت من أمرها . وفي الاطالس
 الأوروبية بصورة امرأة متكئة على أحد الحوتين والسلاسل في يديها ورجليها
 أو في يديها فقط . وما دام العرب قد عرفوا هذه الكوكبة وسموها فلماذا لا تقول
 كوكبة المرأة المسلسلة بدل أندروميديا ؟

أما كوكبة الجبار فمعروفة في أورربا باسم أور يون (Orion) وقد ذكرت
 في سفر أيوب حيث قيل في وصف الخالق (صانع النعش والجبار والثريا ومخادع
 الجنوب)

اذن فالفرق كبير بين البرج والكوكبة . وهذا ما كان من الواجب أن
 يلاحظه الاستاذ قبل أن يمضى في بحثه هذا .



٣ — مجلة المجلات الانجليزية : المستر ويكهام ستيد في كلام عن اليهود
 لا مريّة مطلقاً في أن اليهود أكثر شعوب الارض بعدا عن مفهوم الناس في
 التاريخ الانساني . فانك اذا قرأت تاريخهم عجببت كيف أن الله ، اذا صحت
 الروايات التي نقلت إلينا عنهم ، قد جعلهم شعبه المختار وأرسل إليهم نبيه موسى
 ليخرجهم من أرض مصر الى أرض الميعاد فانك اذا اخذت الفكرة في شعب

الله اختار على أنه أرقى أمم الأرض لم تستطع أن تستبدل من تاريخ اليهود على ما يؤيد هذا التصور مطلقاً. فإن بني إسرائيل قد تدلّوا على موسى تدلّة الصبيان والعجزة فقالوا له لن نصبر على طعام واحد فنزل عليهم مائدة. وقال لهم قاتلوا لتفوزوا بانعام فقالوا له اذهب أنت وأخوك قاتلا إنا هنا قاعدون. وتركهم موسى برهة من الزمان فأضلهم السامري وعبدوا ثوراً جسداً له خوار. وكأني بهم وقد أوشكوا أن يطلبوا من موسى أن يدخلهم الجنة أحياء وبلا حساب.

وإذا صحت هذه الصورة، وهي صورة لانتهاكها غير صحيحة، بل لامشاحة في أنها من أصح الروايات التي تروى عن اليهود، عجبت كيف أن هذا الشعب هو الذي اختاره الله المحبوب والذي يحنّ به ورعايته. غير أنك إذا رجعت عن التصور لأول إلى فكرة أن الله ما اختار هذا الشعب إلا لضعفه واستكانته وذلّه وانكساره، ستطعت أن تعرف لماذا اختار الله اليهود لينصرهم على المستبدّين بهم. غير أنك لا تلبث أن تسكن إلى هذه الفكرة حتى تعتورك فكرة أخرى توقعك في مشكل أذكى من الأول. إذ لا بد لك من أن تتساءل كيف أن هذا الشعب الضعيف المستكين قد أصبح، بعد أن شنت شمله وحرم من أرضه المقدسة التي ظلت ميداناً لتناحر الشعوب خلال كل أدوار التاريخ من بعد أن خرب بيت المقدس، من أكثر الشعوب لحمة وأشدّهم استمساكاً بعري الاتحاد القومي التي لم يعرف له نظير في تاريخ شعب من شعوب الأرض؟

يقول المؤلف الكبير هوستون ستيوارت تشمبرلن أن السبب في ذلك كتاب التوراة ويقول كثير من المؤرخين إن السبب فيه غريزة الدفاع عن النفس في الأقليات. وعلى الأخص في أقليات كاليهود لم تجد لها من نصير في أكثر البقاع التي فزعت إليها هرباً من استبداد لحقها في غيرها.

ولم تدلّ على اليهود من اضطهاد أصحاب الأقلام أكثر مما لقوا من اضطهاد أرباب السيف. بل حملوا من مخارق رجال الدين أكثر مما لقوا من استبداد رجال الدنيا. وفي معتقدي أن آخر ما يرمون به من رذيلة عملهم على تحطيم النظام الاجتماعي الحاضر باستكشافهم لمبدأ الشيوعية أو البلشفية الذي يرميهم به مسترويكهام ستيد

في مقاله القيم الذي تقرأه في مجلة المجلات الانجليزية . يقول مستر ستيد Steed — وترجمة اسمه في العربية حصان — ان اليهود يأترون بالعالم اليوم جزاء ما ائتمروا به في العالم في المصور الأولى وأن نزعهم الى جمع المال والحطام لم يكن لها من سبب الا أن يتقوا بها الظلم اذا حلت بهم الكوارث ونزلت بهم الحادثات . أما وقد استطاعوا اليوم أن يتبدلوا من هذه القوة المادية بقوة أدبية يستطيعون بها أن ينتقموا من النظام الاجتماعي قائمهم يضحون بالوسيلة الاولى على أن يكون لهم القيادة اذا ما بشروا بالوسيلة الثانية وهي الثورة العالمية في سبيل الشيوعية .

ولا جرم أن هذه الفكرة ذات آصرة بفكرة رجال الكنيسة إذ يدعون أن اليهود يذبجون أولاد النصارى . فقد اتخذت هذه الدعوى ذريعة للتشكيل باليهود انتقاماً منهم جزاء ما صلبوا المسيح على زعمهم . غير انى أصبحت لا أميل مع هذا الرأي وان كنت أخذت به يوماً من الايام . وأكبر سبب يجعلنى لا أرى رأى ستيد في هذا الموضوع ان مجرد أن يكون ماركس ولنين وتروتسكي من اليهود لا يكفى لإقامة الحجة على مجموع اليهود ، ولا أستطيع أن أتخذ مجرد اشارات بسيطة في كتابات دزرائيل سبباً في الاعتقاد بانه رمى الى هذه الفكرة التى أعتقد أنها قد تبعد عن عقول اليهود بقدر ما تبعد عنهم فكرة الخروج على تقاليدهم .

وفضلاً عن هذا فان اليهود ليس لهم مذهباً سياسياً يجعلهم يفكرون في مثل هذه الانقلابات الثورية سيما وراء أغراض عالمية . فاليهودى مصرى بين المصريين انجائزى بين الانجائزى ، فرنسى بين الفرنسيين ، حبشى بين الاحباش ، سودانى بين السودانيين . وعندى أن هذه النزعة وحدها كافية لان تبعد عن ذهنية اليهود أكثر ما يحاول أن يعزوه اليهم الكتاب من النقائص العبرانية .

فهرست

ص	
٦٥٧	الأدين : وهل تصبح شرائع أدبية
٦٦٠	الله والشر : قطعة شعرية عبد اللطيف ثابت
٦٦١	كرتة نافرين : الأسطول المصري وأوروبا مؤرخ
٦٧٠	حضر موت وسلطانها محمد خليل
٦٧٣	هل صلب اليهود المسيح : ملاحظة من كامل حسين محمود
٦٧٨	التناحر على البقاء : وتطبيقه على النظام الاجتماعي
٦٨١	الضحية : رواية تمثيلية كاملة : عن طاعور اسماعيل مظهر
٧١٥	تأملات في الأدب والحياة فيلوبونس
٧٢١	الحيوان الخالد : الأميبا حسين تقي اصفهاني
٧٢٥	سر العالم : قصيدة حسن كامل الصيرفي
٧٢٧	السر الدفين : قطعة شعرية
٧٢٨	مذكرات (أنا) بقلم (ي) النبذة الاولى
٧٣٣	النقد والتأليف
٧٣٣	أردشير وحياة النفوس : لزكي أبي شادي
٧٣٥	مهاجما غاندي : تأليف رولان وترجمة عمر فاخوري
٧٣٧	لماذا أنا مسيحي ؟ : تأليف فرانك كراين مهرب بتصرف
٧٣٨	رمل وزبد : تأليف جبران خليل جبران . مترجم
٧٣٩	أصول علم النفس : تأليف أمين مرسي قنديل
٧٤٣	ثمار الفكر الغربي :
٧٤٣	العقل والايمان : سير أوليفر لودج
٧٤٦	قصة الفلسفة : تأليف ويل ديورانت
٧٤٨	انفصال الجنس في الانسان والحيوان : تأليف جون باكر

تابع الفهرست

ص	
٧٥٢	سبينوزا ومذهب مكيافيلي : عن الاستاذ سيرفريدريك بوللوك ...
٧٦٢	الكنهجة المحطمة : قصيدة من الجداول إيليا أبو ماضي
٧٦٤	الرقوق : قصة من الاساطير العربية عبد الحميد سالم
٧٦٨	في ثورة أمريكا : خطبة الوطنية الاكبر : باتريك هنرى ...
٧٧٢	لماذا اشتركت أمريكا : في الحرب الاوروبية عمر عنايت
٧٧٥	بين الصحف والمجلات : في الشرق والغرب
٧٧٥	١ - الهلال مصر
٧٧٥	(ا) النور الجديد : لهيكل بك
٧٧٧	(ب) الجماعة من الناس : للاستاذ سلامه موسى
٧٧٨	٢ - الجديد : من مقال « السدم » للدكتور مشرفه
٧٨٠	٣ - مجلة المجلات الانكليزية : من مقال بعنوان اليهود المستر ويكهام ستيد